



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة اجتماعية بعنوان

## أزمة الهوية عند ريجيس دوبريه

من إعداد الطالبة:

سعايدة بشرى

المناقش	الرئيس	المشرف
أ. العالم عبد الحميد	أ.د بلواهم عبد الحليم	أ.د مجاجي رايح

السنة الجامعية

2016م-2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ  
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

الحجرات الآية ﴿13﴾

الدعابة او المرح، أفضل من أدب التشاؤم... انه  
هدية مقدسة وعلاج ضد الأمزجة الباردة، هذا يجعل تقريبا من  
فصل الشتاء ربيعا  
-ريجيس دوبريه-

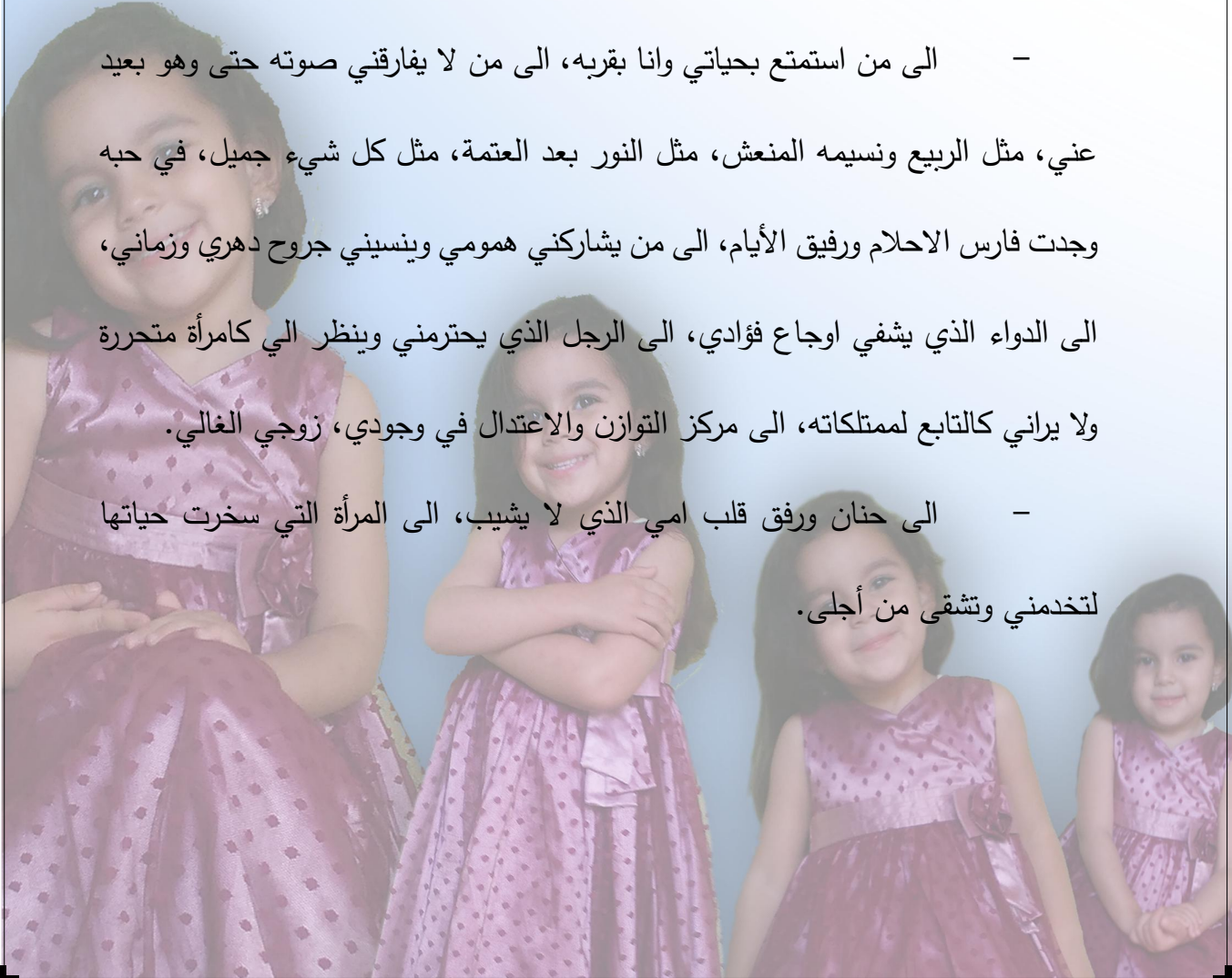
## اهداء

اهدي ثمرة هذا الجهد الفكري المتواضع مع كل حرف وكل كلمة وكل جملة الى:

- الرائعة التي لا تهدأ إلا في وقت نومها، في ذلك الركن من بيتي، كأجمل لوحة فنية لا أستطيع أن ابعث نظري عنها، وهبني إياها الخالق، الى براءتها التي لا تعرف الحدود، الى التي لحظة احتضنها يتوقف الزمن ليأخذنا الى عالم الاحلام الجميلة والخيال الواسع، أقولها واعيدها وهذه الجملة تليق بها، الى من جعلتني أرى الحياة في صورتها الجميلة، أملني في الحياة ابنتي الغالية

- الى من استمتع بحياتي وانا بقربه، الى من لا يفارقني صوته حتى وهو بعيد عني، مثل الربيع ونسيمه المنعش، مثل النور بعد العتمة، مثل كل شيء جميل، في حبه وجدت فارس الاحلام ورفيق الأيام، الى من يشاركني همومي وينسيني جروح دهري وزماني، الى الدواء الذي يشفي اوجاع فؤادي، الى الرجل الذي يحترمني وينظر الي كامرأة متحررة ولا يراني كالتابع لممتلكاته، الى مركز التوازن والاعتدال في وجودي، زوجي الغالي.

- الى حنان ورفق قلب امي الذي لا يشيب، الى المرأة التي سخرت حياتها لتخدمني وتشقى من أجلي.



- الى ذلك الشامخ الذي لا يشكو من الم ولا من ضرر ولا من نكد أمام طلبي،  
الى ابي الذي اختار من الطبيعة وأشجار الزيتون والسكينة انيسا له، ومن التراب والحيوانات  
متعة الحياة وما فيها.

- الى اخوتي الذين أرى فيهم سندا لي وقت الضيق وكل أبنائهم.

- الى عائلتي الثانية التي اشاركها الافراح والمسرات.

- الى كل زملائي الذين جمعني عرش الفلسفة بهم.

- الى ❧ نماء ❧ وكل عضو فيها، من اجتمع على الخير حبا في الله، عائلة واحدة، يدا  
واحدة من اجل التغيير والإصلاح، ونشر بذور المحبة والاخوة.

- الى كل من يحبني وحتى من لا يحبني.

- الى كل امرأة تقف في وجه مجتمع تحكمه الأكاذيب والمعتقدات التموهية  
البالية.

- الى أطفال العالم خاصة من عملت وطأة الطائفية والتعصب ونبذ الاختلاف  
على حرمانهم من حقهم في اللعب والنوم الهنيء.

- الى كل انسان يحب أخيه الانسان بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو لونه  
أو دينه.

- الى كل انسان محب للخير والسلام.

- الى كل كبير شان متواضع الخلق قريب لرعيته ومستغيث لندائهم





- الى الماضي الذي لا يعود والحاضر الذي يمضي أمام اعيننا والمستقبل الذي

لا نعرف كيف سيمضي.

- الى كل من خرج من البلاد التي يتواجد فيها من يحبهم رغما عنهم.

- الى كل من فقد حبيبه لان الموت أحسن من العيش دون حبيب.

- الى كل روح نيتشوية قلقة ومتمردة.



## شكر وتقدير

- اشكر الله العزيز القدير الذي اعانني على إتمام هذا العمل الفكري، وأسأله مثلما جمعنا في دنيا فانية أن يجمعنا في جنة عالية، وان يكتب لنا في هذه الخطوة سعادة ورزق زيادة.
- كما يسعدني ان أقدم خالص امتناني للأستاذ المشرف -مراجي رابح- الذي امتلك الناس بأخلاقه.
- وفائق التقدير الى أعضاء لجنة المناقشة على تقبلهم قراءة هذه المذكرة وتفضلهم بالمناقشة
- وإنه لمن دواعي سروري ان اغتتم الفرصة وأتقدم بخالص الاحترام واعترف بجميل الأستاذ -بلعقروز عبد الرزاق- الذي أعجبه موضوع دراستي فهو كان لي دعماً للإكمال فيه معيدا لي الأمل والثقة بالنفس على مستوى هذا البحث العلمي.
- هذا ولا انسي فضل جميع أساتذة قسم الفلسفة بجامعة قالمة " 8 ماي 1945 " دون استثناء.



# مقدمة

يعيش انسان هذا العصر في عالم يبدو في ظاهره أن كل شيء جميل لكن لا أحد سعيد، عالم تميزه الاضطرابات والأخطار والأزمات المتفاقمة، والتي تخطو فعالياتها الحدود، حيث تتخذ مسارات سريعة فتشعر البشرية أنها معرضة لقوى لا سلطة لها عليها، أين تحتل قضية الهوية الصدارة في هذا الزخم الفكري المتزاحم، وإذا أصيبت بأذى فان ذلك يؤدي الى فقدان الثقة بالنفس وعدم الشعور بالأمن وذلك يؤدي الى تدهور الشخصية الإنسانية وسباق العالم إلى حالة من العدمية والفوضوية، ما يؤدي الى وقوع الإنسان المعاصر في دوامة اغتراب واستلاب.

فلا نهاية للتناقض الذي يحوم من حوله وفي ذهنه وعقليته، أيقبل عن هذا؟ أو يقلع عن ذلك؟ فاقدا لمعناه ولذاته ولرأيه ولكل مقومات شخصيته المعنوية الذاتية الاجتماعية والوجودية، فالإجماع استقر عند الاعتبار أن الهوية العالمية الراهنة تعرف خلخلة على مستوى المعادلة الأخلاقية وفق معطى ومنطلق اللاوعي واللامنطق.

لم يكن الفكر الفلسفي في غفلة عن البحث في مثل هذه المواضيع، متضحا له أن الواقع العالمي في تراجع مستمر ومتجه صوب الكارثة، ولعل مشروع السلام الدائم لإيمانويل كانط، أحسن مثال لإعادة التوازن للهوية من منظور كوسمولوجي كشعاع و امتداد للمدرسة الفرنكفونية، فنجذ نظرية الفعل التواصلية عند يورغن هابرماس سبيل لتفعيل العلاقة بين الأنا و الآخر، ناهيك عن المبادرات الفكرية في سبيل الإنسانية التي نلمسها عند روجيه غارودي في مؤلفه حوار الحضارات كبديل عن صدام الحضارات، بالإضافة إلى الفلسفة الإيتيقية التي جاء بها أكسل هونت من خلال فلسفة الاعتراف بالأقليات المحترقة على وجه الخصوص، كما نجد المفكرة الهندية غيتاري سببفاك تؤسس من الهوية موضوعا لفلسفتها و مؤلفها هل يمكن للتابع أن يتكلم؟ تجسيد لهذا الاهتمام، وهذا إن كان يدل على شيء فهو يدل على أن الفلاسفة المعاصرين وعلى اختلاف انتماءاتهم يصوبون انشغالاتهم واهتماماتهم إلى دراسة هذا الموضوع، فجل المحاولات الفكرية اتجهت إلى إعادة بناء المجال العام لما يشهده من تجاوزات أفقدت الذات معرفة ذاتها.

و يعد الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبريه الذي ساهم هو الآخر في مشكلة الهوية حيث قدم لنا مشروعاً فكرياً كدعوة صريحة و مباشرة لمعالجة أزمة الهوية، و محاولة إيجاد حلول لها معتبراً روح السلام و المساوات هدف لفكره، فالمجتمعات بحاجة إلى أفكار متسامية تؤمن بان هوية الانسان أهم معيار يمكن من خلاله إثبات كيانه و تحقيق وجوده الحقيقي لا وجوده الزائف، فالإنسانية لم تعد تنتج المعنى بل أصبحت تنتج الخوف من المجهول و الفراغ في حين التعايش الاجتماعي يقتضي ضرورة تشكيل نسيج من العلاقات بين الأفراد يحكمها التفاعل العلائقي، و كون أزمة الهوية عند ريجيس دوبريه ذات أهمية كبيرة و موضوع هذا البحث

- فماهي الهوية وما هو التطور الكرونولوجي الذي مرت به أزمة الهوية؟

- ما مدى تأثير العولمة على الهوية ألا تزال الهوية الاصلية هي هوية الفرد ام انها شيء

غريب عنه؟

- ماهي حالة الانسان المعاصر في ظل أزمة الهوية لا سيما ونحن في عصر العدمية، عصر

الفردية الذي يتخذ فيه كل فرد من ذاته قيمة عليا يحتقر بها هوية الآخر؟

- ما هو السبيل للخروج من هذه الأزمة، وهل هي مجرد وضعية تاريخية عابرة أم حالة كونية

مستقرة على عرش الانسان الجديد وكيف سيعيد هذا العالم الجديد إعادة صياغة نفسه؟

وللإجابة عن هذه المشكلات اتبعت منهج التحليل لمضمون فكر ريجيس دوبريه لتوضيح

تصوره حول الموضوع محط البحث، و مقارنة ما ذهب اليه و ما يراه بعض المفكرين الاخرين تبييناً

لأوجه الاتفاق و الاختلاف فيما بينهم، كما اعتمدت على مجموعة مصادره مثل كتاب "نقد العقل

السياسي"، "في مديح الحدود"...بالإضافة الى مجموعة من المراجع التي تعالج الموضوع و تحظى

بنصيب من النقاط المهمة من زوايا متعددة، مثل مؤلفات : آلان تورين، هيربرت ماركيزوز...كما

حاولت الاستعانة بالمعاجم و الموسوعات، ولمعالجة هذا الموضوع اتبعت الخطة التي تضم مقدمة،

واربع فصول، وخاتمة

المقدمة: حاولت الإحاطة بالموضوع وتحديد الاشكالية التي يعالجها كما بينت أسباب اختيار الموضوع وما الفائدة من هذا الموضوع.

ففي الفصل التمهيدي: تطرقت الى تحديد مفهوم الهوية لغة، اصطلاحا، وعند ريجيس دوبريه، والتطور الكرونولوجي لازمة الهوية.

- الفصل الأول: تعرضت فيه لمفهوم العولمة لغة، اصطلاحا، وعند ريجيس دوبريه، والفعل السلبي الذي تؤديه العولمة في تشتت واختلاط الهويات.

- الفصل الثاني: تطرقت فيه إلى مفهوم الاغتراب لغة، اصطلاحا، وعند ريجيس دوبريه، واعتبار أن الاغتراب هو مصير الهوية المعاصرة كضرورة ونتيجة حتمية لعبودية الذات لمستجدات العصر.

- الفصل الثالث: خصصته للدور الإيجابي الذي تلعبه المرجعيات كحل لازمة الهوية، فالمرجعية الدينية والحدود السياسية تركز على مبادئ وقيم تضمن التوازن للهوية، كما أوردت في الأخير نقد وتقييم بينت فيه بعض الأفكار التي انتقد فيها ريجيس دوبريه.

- خاتمة: تضمنت خلاصة الموضوع والاستنتاجات المتوصل إليها، كما قدمت الأفق الفلسفي الإنساني الذي يسعى إليه مفكرنا.

ومن الأسباب والدوافع التي جعلتني اختار هذا الموضوع هو أن الهوية من القضايا الفلسفية التي تستهويني، إضافة إلى أنها موضوع يتسم بالإلحاح و العناد فهو اصبح يفرض نفسه على الساحة الفكرية كون الأزمة بلغت ذروتها، و تقاومت إلى درجة توترات سياسية و اجتماعية حادة و من أمثلتها تلك الحادثة على مستوى الواقع العالمي و التي لم يغفل عنها مفكرنا، كانتشار إرهاب داعش كنموذج لتمرد الهويات، الاحداث العنصرية الواقعة في بلد الديمقراطية فرنسا كاحتقار الأقليات المسلمة، و قضية الصحيفة تشارلي ايبودو....، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى إن النموذج المختار من دعاة الحرية و من مناصرين القضية الجزائرية في السابق و الفلسطينية من القديم إلى

يومنا، و هذه مواقف صقلت فيلسوف يسعى إلى نشر السلم و الأمن العالمي، فيلسوف يبتغي رسم حدود لتجاوزات طمس الهوية، شخصية فلسفية ترغب في وضع إشارات حمراء و نقاط نهاية لفوضى الساحة السياسية زيادة إلى الرغبة في ترجمت و إيصال رسالة ريجيس دوبريه و نشر الوعي الثقافي و ادراك مفاهيم الهوية كوننا اصبحنا لا نفرق بين أنفسنا أو غيرنا، و بمعنى واسع هدفي الترويج لنزعة إنسانية و تشجيع النضال و التعبير الفكري و الوصول إلى التحرر و نشر المحبة و الأخوة.

ولقد واجهتني وانا بصدد انجاز هذا البحث عوائق، فطبيعة الموضوع أو الأسلوب الذي يكتب به دوبريه في بعض مصادره هو ما يعرف بالرواية الفلسفية، اللغة في هذا المقام رمزية تأويلية تستدعي الاطلاع الشامل على فكره مع التركيز في بناء المعلومات، زيادة الى ذلك نقص القراءات حول النموذج المختار فموضوع البحث يعد دراسة أولى وجديدة لم تقدم من قبل كرسالة تخرج.

إلا أن هذه العوائق لم تكن حاجزا أو مانعا يحول دون أن يزول في كتابة هذه المذكرة فان وفتت فمن الله وان أخفقت فمني.

فصل تمهيدى:

مدخل إلى الهوية

من الخطوات المهمة التي لا يستطيع الباحث في المواضيع الفلسفية غض النظر عنها خطوة ضبط المصطلح الذي هو بصدد معالجته كقضية فلسفية، فالمسألة مسألة مفاهيم، بالإضافة الى التقصي والتحري والتقيب عن تاريخ الاشكالية المدروسة منذ نشأتها، وهذا يدفعنا إلى التساؤل التالي: ماهي المفاهيم التي سخر بها مصطلح الهوية؟ وماذا قدم لنا تاريخ الفلسفة من ميراث فكري حول ازمة الهوية؟

### المبحث الأول: مفهوم الهوية

يعد مصطلح الهوية من المصطلحات الفلسفية الكبرى، فهو يحمل مدلولات متعددة ومتنوعة بحسب الموضوعات، وتاريخ الفلسفة يشهد على التطور الذي مر به هذا المفهوم، فهو يحمل في طياته علاقة بين الانا والآخر في موضع ضروري تكاملي، وفي موضع آخر جدلي، بين انتماء عرقي أو طائفي و بين انتماء آخر، بين الشرق و الغرب، بين الإسلام و أديان أخرى، بين العبد و السيد، بين المرأة و الرجل، بين المواطن و الدولة، بين الانسان و الطبيعة، بين الجسد و الروح، بين العقل و الشهوة، بين المادة و الوعي، وقائمة الثنائيات المتقابلة تطول، و التساؤل المطروح هو ما معنى الهوية؟

#### أ- لغة:

جاء المفهوم اللغوي للهوية جاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة "الهوية تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ولذلك ألحق بها الطرف المختص بالأسماء وهو الألف والالم واشتق منها المصدر فقي الهوية من الهو، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرجل، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليظاً من اسم الوجود إذ كان شكله اسم مشتق"<sup>1</sup>.

1 - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007، ص 667.



كما ورد في المعجم الفلسفي لجميل صليبا "اسم الهوية ليس عربيا في أصله وإنما اضطرت اليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف هو في قولهم زيد هو حيوان أو انسان"<sup>1</sup>.

### ب- اصطلاحا:

كلمة هوية جاءت في اللغات الأجنبية باسم: identity, identité و تعني كلمة "هوية هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره و تسمى أيضا وحدة الذات"<sup>2</sup> والهوية عند بعضهم هي " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"<sup>3</sup>

وهناك من يقول فلسفة الهوية " ...بوجه عام كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح ولا بين الذات والموضوع وتنظر اليهما على انهما وحدة لا تنفصل... عند شيلنج مذهب يقرر أن الطبيعة والروح في جوهرها شيء واحد هو المطلق"<sup>4</sup>.

والهوية عند المحدثين اتخذت أربعة اشكال "تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد... وتسمى هذه الهوية بالهوية العددية، تطلق على الشخص.... إذا ظل هذا الشخص ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده...وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية، الهوية صفة موضوعين من موضوعات الفكر إذا كان رغم اختلافهما في الزمان والمكان متشابهين في كفيات واحدة... وتسمى هذه الهوية بهوية كيفية او نوعية، الهوية علاقة منطقية بين

1 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982، ص529.

2 - إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية، القاهرة، مصر، د ط، 1983، ص208.

3 -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص530.

4-ابراهيم مذكور: المرجع السابق ، ص140.

شيئين متحدين كالهوية الرياضية أو المساواة الجبرية التي تظل صادقة رغم اختلاف قيم الحروف التي تتقوم منها"<sup>1</sup>.

ونستخلص من هذا القول ان جميل صليبا قد قسم الهوية الى أربعة أنواع: الهوية العددية، الهوية الشخصية، الهوية النوعية، الهوية المنطقية وما يهمننا في هذا المقام هو الهوية الشخصية.

كما تعرف الهوية في المنطق والرياضيات كالاتي: "تدل الهوية على علاقة بين شيئين أو كميتين، كل طرف فيهما يقوم براسه ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة ( $\equiv$ ) هكذا (س)  $\equiv$  (ص) وتقرأ (س) في هوية (ص)"<sup>2</sup>، ويمكن التمثيل عن ذلك بوجود مادتين مختلفتين في الماهية لكنهما متساويتان في القيمة.

وفي علم النفس "تثار مشكلة الهوية فيما يتعلق بوحدة ذات الطفل او الشاب أو الرجل أو الشيخ رغم اختلاف اطواره وما يقوم به من أدوار"<sup>3</sup>، والمقصود هي تلك المعرفة بالذات التي تصاحب الانسان طيلة وجوده.

وفي علم الاجتماع "تثار مشكلة الهوية فيما يتعلق بهوية الشخص في الإطار الاجتماعي بان يشعر بالهوية مع اشخاص المجتمع الذي يعيش وينمو فيه وهو ما يسميه ميد باسم تعميم الغير واندماج الذات فيه"<sup>4</sup>.

1 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص 531.

2 - عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ص 569.

3 - المرجع نفسه: ص 569.

4 - المرجع نفسه: ص 569.

وفي نظرية المعرفة "مبدأ الهوية إلى جانب مبدأ عدم التناقض وثالث المرفوع وهي قوانين ضرورية للفكر المنطقي، ولا يكون الفكر سليماً من الناحية المنطقية إلا إذا التزم بها"<sup>1</sup>.

وفي الميتافيزيقا "نجد أن شلنج<sup>2</sup> جعل من الهوية المطلقة جوهر العقل وماهيته وتبعاً لذلك رأى أن الفلسفة لا يمكنها التخلص من المشاكل العويصة التي تتردى فيها إلا بالرجوع إلى مبدأ الهوية"<sup>3</sup>.

كما وردت تعاريف اصطلاحية أخرى "للحوية علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادراً أو قادرة على الاستمرار في ان تكون ذاتها وليس شخصاً أو شيء آخر"<sup>4</sup> وهذا يعني ان الشخص أو الجماعة تمثل نفسها ولا تمثل شخصاً أو جماعة أخرى وبذلك تكون مكتفية بذاتها وغير خاضعة أو مقلدة لأطراف آخرين.

كما يمكن اعتبار الهوية "سمة طبيعية وأبدية تصدر عن التطابق مع الذات والفرد أو الكيان الجمعي المكتفي ذاتياً تأسس في سياقات اجتماعية وتاريخية محددة... وأنها خيالات استراتيجية عليها أن تتجاوب مع الأحوال المتغيرة ومن ثمة فهي عرضة للتغير وإعادة التصوير باستمرار... والهويات لا يمكن ان تكون مكتفية ذاتياً فقط بل هي تتأسس في الواقع على لعبة الفروق"<sup>5</sup> فالهوية من المفاهيم المجردة و التي على الرغم من اتصافها بالسكون و الثبات فهو من

1 - عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص 570.

2 - فريديريك فيلهلم يوزف شلنج 1775-1854 من أقطاب الفلسفة المثالية الألمانية والمثالية عامة، يقول بفكرة أن وجود الاجسام وجود مثالي موجود في نفوسنا، و يقول بمبدأ أحادية الوجود، و هذا الواحد هو الانا أو العقل وليس خارجه شيء

3 - المرجع السابق: ص 570.

4 - طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 700.

5 - المرجع نفسه: ص، ص 703، 702.

المفروض أن تراعي مستجدات العصر و تراعي مبدأ الاختلاف أي أن تكون بمثابة تراث حي يمكن تفعيله في أي مكان و في أي زمان.

بالإضافة الى أن الهوية "هي عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره من سماته والهوية الواضحة هي هوية جواز السفر التي تحدد جنسية الفرد وديانته، إذا مبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو فالهوية ان يعرف الشخص جذوره وميوله ويؤكد على انتماءه لهذه الجذور... فهي الشعور القومي والانتماء الفعلي لامة من الأمم او لشعب من الشعوب"<sup>1</sup>، فالهوية في هذا المقام هي رجوع الفرد إلى اصوله والشعور بذلك الأصل.

ومن بين الدلالات البالغة التنوع لهذا المفهوم "الهوية نسق المعايير يعرف بها الفرد و يعرف و ينسحب ذلك على هوية الجماعة و المجتمع و الثقافة... توجد في خضم علاقات اجتماعية و ثقافية متداخلة... تتجلى في صيغ و ترتسم في اشكال متعددة و تتنوع بتنوع نشاطات الفرد المهنية و السياسية و الثقافية و الفكرية و تتعدد بتعدد المواقف السيكلوجية"<sup>2</sup>، فالهوية لا تتحدد انطلاقا من بعد واحد بل تتحدد عن طريق العلاقة المتداخلة بين البعد الاجتماعي و النفسي، السياسي، الثقافي، الفكري.

هذا وقد عرف الفارابي الهوية كالتالي " هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له كل واحد وقولنا انه هو إشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"<sup>3</sup>.

1 - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، د ط، د ت، ص 477.

2 - اليكس ميكشلي: الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993، ص، ص، 7، 9.

3 - جميل صليبا: مرجع السابق، ص، 530.

في حين عرف ابن سينا الهوية اين ذهب معه في نفس المسار المفكر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم<sup>1</sup>، في أن يفضل استعمال لفظ إنية للدلالة على الهوية كون هذا الأخير ليس اسم عربي اصيل " إنك عندما تشعر بإنيتك تقول إنني وإنيتك تلك المتميزة هي وجودك الحقيقي"<sup>2</sup>.

وبتغيير المسار الفكري من الإسلامي الوسيطى الى الغربي المعاصر نجد دافيد ميلر<sup>3</sup> "الهوية تساعدنا بأن تضعنا في العالم فتخبرنا من نحن ومن أين جئنا وما قمنا به"<sup>4</sup>، والقول يحمل دلالة على علاقة الهوية بمفاهيم تنوع الثقافي والتعريف بالكيانات الاجتماعية في هذا العالم.

عند صاموئيل هنتنغتون<sup>5</sup>: "هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة"<sup>6</sup>، حيث يقصد بالحديث الهويات الثقافية الحضارية وصياغة مفهوم الهوية عنده كان انطلاقا من فكرة تفوق النموذج الغربي ذو الايديولوجية الامريكية.

عند هومي بابا<sup>7</sup>: "مسألة تعيين الهوية ليست أبدا مسألة تأكيد على هوية متعينة مسبقا، ولا هي نبوءة تحقق ذاتها، إنها على الدوام إنتاج صورة للهوية، وتغير للذات باتجاه اتخاذها تلك

- 
- 1 - مولود قاسم نايت بلقاسم: 1927-1992 مفكر جزائري تقلد منصب مدير في وزارة الخارجية، فوزيرا للتعليم الأصلي و الشؤون الدينية و مستشار لرئيس الجمهورية، ثم أصبح مسؤولا في حزب جبهة التحرير مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية، و مسؤول على المجلس الأعلى للغة العربية، أهم مؤلفاته إنية و اصالة، أصالة ام انفصالية.
  - 2 - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 118.
  - 3 - دافيد ميلر: 28 نوفمبر 1909 - 14 أفريل 1992 مخرج سينمائي وروائي أمريكي
  - 4 - طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ص 702.
  - 5 - صاموئيل هنتنغتون: 1927-2008 مفكر و سياسي أمريكي، و أستاذ بجامعة هارفرد لأكثر من خمسين عام، اشتهر بتنظيره لفكرة صراع الحضارات التي اثارته جدلا فكريا و سياسيا على مستوى العالم، يرى ان الاختلافات الثقافية هي المحرك الرئيسي للنزاع بين البشر في السنين القادمة
  - 6 - صاموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات، (إعادة صنع النظام العالمي)، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، سطور، ط2، 1999، ص 37.
  - 7 - هومي بابا: 1949 أكاديمي هندي، أستاذ الادب الأمريكي و البريطاني، في جامعة هارفرد، حيث يرأس مركز الدراسات الإنسانية هناك، برز اسمه من خلال طرحه مفهوم التهجين لتفسير نشوء أشكال ثقافية جديدة في عالم التعدد الثقافي، أبرز أعماله ، أمم و مرويات ، موقع الثقافة، حول الخيار الثقافي، حياة جامعة

الصورة والحاجة إلى تعيين الهوية أي الحاجة إلى أن تكون مقابلاً للآخر<sup>1</sup>، مما يبدو أن نظريته لهذه القضية مختلفة فهي تتخذ من التفكير أسلوب لها فهو يستبعد المعايير الأصولية المتحكمة في تعيين الهوية، ويضع الهوية على محك التغيير والتجديد الذي يضع الذات في إطار يقابله و يتميز عنه ضروريا و لزاما إطار آخر .

عند إيريك فروم<sup>2</sup>: " وإحساس الانسان بالهوية ينمو في عملية الخروج من الروابط الأولية التي تربطه بالألم والطبيعة، والوليد... لا يصل الى ادراك ذاته بوصفه كائنا متميزا الا بعد أن يكون قد تصور أن العالم الخارجي منفصل و مختلف عنه "3، وفي القول إشارة ان الوعي بالاختلاف عامل أساسي في إدراك ومعرفة الذات لذاتها، "والأقوال أنا أمريكي، أنا بروتستانتية، أنا رجل أعمال، هي الصيغ التي تساعد الانسان على خبرة الإحساس بالهوية"<sup>4</sup>، فالأمة و الديانة و الطبقة و المهنة، كلها نقاط تشغل حركية الهوية و كلها تعبر عن انتقال الفرد من حالته الطبيعية إلى حالة ثقافية مدنية، و الحاجة في ان يعرف المرء بهويته أقوى من كل الحاجات " إن الناس يرغبون في المجازفة بحيواتهم و في التخلي عما يحبونها و أن يتنازلوا عن حريتهم و أن يضحوا بأفكارهم من أجل أن يتحدوا في القطيع ويتطابقوا فينالوا بذلك الإحساس بالهوية ولو انه إحساس وهمي"<sup>5</sup>، فالإنسان دائم السعي وراء الإجابة عن السؤال من هو؟ كأهم سؤال ملح وعدم تجاوزه يعني الوقوع

1 - هومي بابا: موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004، ص110.

2 - إيريك فروم: 1980-1900 تكمن طرافة فكره في محاولة التوفيق بين مقتضيات المنهج الفرويدي القائم على أساس دراسة الفرد و بنائه النفسي و بين المنهج الماركسي المرتكز على تناول المعطيات الاقتصادية و الاجتماعية، و هو يرى ان محدد السلوك الإنساني لا يعتمد على تكوين الفرد الغرائزي و انما يخضع للظروف و المؤثرات المحيطة به، من أهم مؤلفاته: الخوف من الحرية، التحليل النفسي و الديني، اللغة المنسية، الامتلاك او الوجود.

3 - إيريك فروم: المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2009، ص169.

4 - المرجع نفسه: ص170.

5 - إيريك فروم: المجتمع السوي، ص 171.

في اللامعنى والعدم، الذي يعزل الفرد عن العالم الذي يحي فيه، فالمهم بالنسبة له أن يدخل ويندمج في الكيان الاجتماعي بأي طريقة.

...ومن بين التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الهوية التي اثارته وقعا بداخلي تعريف دافيد ميلر، على اعتبار أنه بين الدور الذي تلعبه الهوية في وضع الفرد داخل السياق العالمي والكوني، فهي تحدد الوجود الإنساني من ناحية معرفة الذات لذاتها و أصولها المنتمية اليها و مكانتها من خلال ما أنجزته عبر تاريخ تواجدها.



ج- عند ريجيس دوبريه:

ان ريجيس دوبريه<sup>1</sup> فيلسوف متعدد المشارب الفكرية فقد سخر اهتمامه بمعالجة قضايا متعددة و مختلفة المجالات حيث وصف بالفيلسوف الموسوعي، لأنه يتكلم في السياسة كما يبحث

1 - ريجيس دوبريه: 2 سبتمبر 1940 فيلسوف مناضل، روائي، أكاديمي، ميديولوجي، مسرحي، فرنسي، ابن أحد كبار المحامين في العاصمة الفرنسية وأمه كانت احدى المقاومات المعروفة ضد الاحتلال النازي.  
في عام 1960 حاز الشاب ابن العشرين عاما على المرتبة الأولى في مسابقة الدخول الى دار المعلمين العليا في باريس، أحد أهم المؤسسات العلمية الفرنسية التي تخرج منها كبار ابداع ومفكري فرنسا.  
و في عام 1965 حاز على شهادة التأهيل العليا في الفلسفة، لكنه لم يمارس عندها مهنة التدريس إذ سافر في السنة نفسها الى كوبا البلاد التي انتصرت فيها الثورة عام 1959م بقيادة فيدال كاسترو، و توجه بعدها الى بوليفيا و مثل صورة ذلك المناضل الذي اختار سجن بوليفيا القاسي على بيته الباريسي الهادئ و الذي هجر أفكار اسلافه الأوروبيين و معاصريه ليلتقي بأفكار الشاعر نيرودا و صديقه الرئيس التشيلي الليندي الثورية، و الذي زهد باستقراره فالتحق بتشيفيفارا ليشركه في حروبه المناصرة للمستضعفين في العالم، حيث جسد اطروحته الثورية في كتابه الشهير الصادر عام 1967م تحت عنوان الثورة في الثورة.

وفي عام 1967م وقع في قبضة الحكومة البوليفية، و صدر بحقه حكم بالإعدام، خفف الى السجن لمدة 30 سنة بفضل حملة دولية لمساندته قادها الفيلسوف جون بول سارتر والمحصلة أمضي في السجن مدة أربع سنوات اين كتب مذكراته "مذكرات برجوازي صغير"، ومن ثم ألف رواية يحكي فيها جوانب من مشاركته في الثورة هناك اسمها غير المرغوب فيه، وعند إطلاق سراحه توجه الى التشيلي للقاء رئيسها سلفادور الليندي ليخرج بعدها بكتاب تحت عنوان محادثات مع الليندي حول الأوضاع في التشيلي.

عاد ريجيس دوبريه الى فرنسا عام 1973م وتولى مهام ومناصب رسمية متنوعة، لكنه استقال من جميعها سنة 1992م.

و في عام 1993م قدم اطروحته لنيل الدكتوراه تحت عنوان حياة الصورة و متوها و شكل ذلك منعطفا في اهتماماته اذ اتجه الى تحليل تأثير وسائل الاعلام و الاتصال على المجتمعات و العصر، و أسس عام 1996م مجلة دفاتر التأثير الإعلامي -الميديولوجيا- التي ركز فيها على نظرية البعد التقني و المؤسساتاتي للثقافة باعتبار ان الاعلام وسيلة لذلك، و اذا كان دوبريه قد نشر النص التأسيسي لهذا المجال من التأمل الفكري عام 1991م فان مفهوم التأثير الإعلامي دخل قاموس التداول العام مع صدور كتابه السلطة الثقافية في فرنسا عام 1997م، فمسألة التأثير الإعلامي و دور المثقف في المجتمع شكل احد مراكز الاهتمام الرئيس لدى دوبريه، فالعالم دخل في عصر الصورة التي تنبأ بولادة العالم الجديد.

في عام 1998م أصبح دوبريه مدير برامج في المعهد الدولي للفلسفة ورئيسا للمجلس العلمي للمدرسة الوطنية الفرنسية العليا لعلوم الاعلام والمكتبات ذلك قبل ان يتولى في عام 2002م رئاسة المعهد الأوروبي لعلوم الأديان، والذي كان قد تأسس بمبادرة منه، وهو يؤكد أهمية المرجعيات مهما كانت طبيعتها بالنسبة للمجتمعات الإنسانية، وفي سنة 2005م أسس مجلة الوسيط -ميديوم-.

في الأديان، ساعة يتحدث عن الإعلام و ساعة أخرى عن الانسان، كما اهتم بالتاريخ و الاحداث الماضية كما اهتم به على مستوى البعد المستقبلي، و من بين المواضيع التي تطرق اليها مسألة الهوية محتلا بها أهم المناصب في المشهد الثقافي العالمي الحالي، ومن خلال قراءتنا لهذا الفيلسوف وجدنا انه يستعمل لفظ الزمرة للدلالة على مصطلح الهوية<sup>1</sup> وليست الزمرة دائرة أو مساحة مسطحة يحدها خط جميع نقاطه على مسافة متساوية من نقطة مركز، لأن النقطة الثابتة للزمرة ليست داخل مسطحها فالمركز الخاص بشيعة من الشيع هو قمة -سوف نحددها كثقب مؤسس- تؤمن الاتجاه الأوحده لأشعة الانخراط التي يرسم تلاقيها المساحة الجانبية للزمرة<sup>1</sup>، فالمجال الذي تتحدد فيه الهوية خاضع لما هو فوقه كشعاع تلتف من حوله و يعمل على اشباع الهوية بمفاهيم الوحدة

ريجيس دوبريه من المفكرين الماركسيين الذين تتلمذوا على كتابات غرامشي ولوكاش وتشربوا تقاليد الثقافة الفرنسية في الان نفسه، يخلص في قراءته لصورة العالم المعاصر أن العولمة ذات طابع احادي خادع فالحيث الذي يزعم انه يشمل الكرة الأرضية باسرها هو امريكي في الجوهر والأساس، وذلك يعمم على الكرة الأرضية نمط الحياة والفكر الأمريكي الشمالي، فهي إذا عولمة زائفة لا تبادل فيها ولا تعامل بالمثل.

هذا وقد اهتم ريجيس دوبريه بالسؤال الديني ضمن قضايا الفكر المعاصر فهو يرى ان التطرف الديني مسألة جلدية يفرزها احتكاك الثقافات كما يشير الى صعوبة تفهم الغرب للإسلام كونه يطرح إشكاليات وتحديات صعبة الحل على العقل الغربي، إضافة الى ان الإسلام يمثل الى للعقل الغربي قصة تاريخية مقلوبة ففي حين تطور الغرب من عصور الانحطاط (القرون الوسطى) الى النهضة فان التاريخ الإسلامي عرف النهضة قبل عصور الانحطاط، وان صحوة الإسلام المعاصر وتعريفه عن نفسه هو ما يفرز تلك الهواجس التي نسميها بالاسلاموفوبيا.

يرى دوبريه ان العالم مصاب بأوبئة الأصولية القاتلة او العلمانية العمياء، وهما افتا القرن الواحد والعشرين، إن مضت المقادير الكونية على نحو ما نشهده الان وماهي سائرة على غير هدى في منعطفاته الانتقاء ومزالق الانتفاضية، كما يعد من أبرز الفلاسفة الرافضين والناقدين لمنطق إسرائيل، وهذا ما نجده في مؤلفه رسالة الى صديق إسرائيلي وهذا الكتاب بمثابة دفاع عن الحقوق الفلسطينية

ومن مؤلفاته التي لم يسبق ذكرها و الغير متوفرة في صيغتها الالكترونية: سراديب حديثة، خارطة الطريق، السلطان الفكري، الاشتراكية دورة حياة، الدفاع عن الثورة، ساذج في الأرض المقدسة، ما الذي تبقى من الغرب، العلمانية يوم بيوم، الانوار التي تعمي، النار المقدسة، السيدة ت، الى الغدا يا ديغول، القوة و الاحلام، و يبقى القول ان عنصر البناء و الركيزة الأساسية في فكر ريجيس دوبريه هو الانسان، فالإنسان عنده هو القضية و هو الحل، و كفاحه الطويل و رؤيته ينطلقان من عند حدود كرامته و حريته كنواة لبناء مجتمعات بشرية، فدوبريه هو ذلك المرافق للتحويلات الكبرى، الثوري اليساري، الملحد الهادئ، المتفكر العقلاني.

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ترجمة عفيف الدمشقية، منشورات دار الأدب، بيروت، ط1، 1986، ص266.

و الخصوصية و الاندماج في حقل دلالي و رمزي واحد، "فالزمرة يخلقها تخطيط مولد متحرك يمر بنقطة ثابتة - زعيم أو مؤلف أو أب- و يستند على الحدود المحيطة بأرض خاصة، ولا سوف يدعى مجموع هذا المسار إيديولوجيا او دينا أو رؤية للعالم"<sup>1</sup>، فالهوية في هذا المقام تابعة في وجودها لمرجعية تركز عليها فهي خاضعة لسلطة فوقية و علوية حيث تتمثل هذه القوة في دور الأفكار الايمانية التي تحرك أهواء الناس أو المعتقدات الدينية، التي تحدد انتماءات الأفراد، أو نمط العيش الذي يخلق التمايز بين البشر و غيرها من العوامل المتحكمة في هوية الانسان، و قد استشهد دوبريه على فكرة السلطة التي تحدد الهوية كالتالي: "و إن لنا لدليل من القاموس الهندو-أوروبي الذي يكشف عن جذر مشترك بين (ركس)أي الملك، و (ريجيري) أي يخط خطأ، و يتمثل هذا المفهوم المزدوج في العبارة الهامة (ريجيري فينس)، الدالة على عمل ديني، عمل أولي في البناء ف (ريجيري فينس) تعني حرفيا يرسم الحدود بخطوط مستقيمة و هي العملية التي يجربها الجد لبناء هيكل او مدينة"<sup>2</sup>، مما يتضح لنا الحضور اللاشعوري المخفي للماضي و للخلفية الدينية

- إن صح التعبير - الأسطورية في صناعة الأنا، و الهوية الحاضرة كذات متفردة و متجذرة أصولها في التاريخ البعيد" فالأمر يتعلق بأن تحدد من الداخل و الخارج المملكة المقدسة و المملكة المدنسة الإقليم القومي و الإقليم الأجنبي، و يتم هذا التخطيط على الشخص الممنوح أعلى السلطات"<sup>3</sup>، فكل ما هو تابع لطرف ما مرتبط به و وفي له، حياته أو موته متعلقة بذلك الانتماء، و كل ما هو متميز عن ذلك الكيان فهو الآخر و الشائع عنه أنه العدو الذي كيانه تهديد للإنانية كهوية أصيلة، و هذه مسلمات من نتاج إرادة القوة قد تكون صحيحة و قد تكون من ضربة الخيال المتعسف، على اعتبار أن إرادة القوة و تاريخ الفلسفة شاهد على تجاوزاتها فهدفها تمويه و تضليل

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 266.

2 - المصدر نفسه: ص 266.

3 - المصدر نفسه: ص 266.

الحقيقة " و أنه لمن العقلاني على هذا أن يكون في الزمر ما ليس بالعقلاني، إذ لو لم يكن كذلك لما كانت هناك زمر، و إنه لإيجابي أن يكون هناك ما هو اسطوري إذ سيكون المجتمع الخالي من الاساطير مجتمعا مهروسا، و إنه لطبيعي أن يكون ما هو خارق للطبيعة لأن كينونة الجماعة تأتيها من فوق"<sup>1</sup>، فالعقلانية تعترف بتأثير الاسطورة على هوية الأفراد فلطالما كانت الاساطير تراث ثقافي أدخل الشعوب إلى العالمية، على اعتبار انها نمط في الحياة ينتقل من جيل إلى جيل، و يشيد منظومة متناسقة فيما بينها من القيم و المعتقدات و الممارسات، كما تعترف العقلانية بوجود قوى ماورائية تضع الحدود لمصير الانسان فكل هذه النقاط مؤشرات تضع الفرد داخل مركزه.

---

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص270.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لأزمة الهوية

يكتسي مفهوم الهوية بنوع من الأهمية الفريدة من نوعها في مجتمع المصطلحات الفلسفية، حيث نجده قد فرض نفسه على الساحة الفكرية فرضاً ملحاً، ولو ذهبنا بالحديث عن نشأة أزمة الهوية لوجدنا أنفسنا أمام قضية ميزتها الضبابية والغموض، فمن العسير أن نوثق لنشأتها أو نحدد لها تاريخ، والسؤال الذي نطرحه هو ماهي الجذور الزمنية الفلسفية لأزمة الهوية؟ وبصياغة أخرى ماهي المحطات التي يمكننا الوقوف عندها لرسم صورة عن تطور أزمة الهوية؟

لا يخلو تاريخ الانسان من المحاولات والارهاصات الأولى في الاهتمام بقضايا الانسان ذاته إلا ان الفلسفة اليونانية و بالأخص أرسطو و الدليل على ذلك مبدأ الهوية في المنطق الصوري هذا من ناحية، كما ارتأيت فيه بوابة عبرت عن أزمة الهوية بالمعنى المراد، فأرسطو من الأوائل الذين كرسوا في فلسفتهم التمييز بين العبد و السيد و أقصى ما يتتبع ذلك من مشاكل أخلاقية سياسية و اجتماعية، فهو يرى أن الهوية الاجتماعية و السياسية تتحدد عن طريق المواطنة، أي المشاركة إلا ان الصراع يحول دون أن يزول حيث يعجز المواطن الأثيني عن المشاركة بالمعنى الفعال، أين تفقد الذات وجودها الحقيقي و واقعها من السياسة "الوئام شيء أكثر من الاتفاق في الراي الذي يمكن أن يتوفر في أشخاص لا يعرفون بعضهم بعض... نقول انه يوجد وئام في الدولة حين يتفق المواطنون حول مصالحهم و يتبنون السياسات بالإجماع و يباشرون تطبيقها... هذا المبدأ من الوئام يتحقق بين الرجال الصالحين لأن هؤلاء يكونون على تناغم مع أنفسهم و مع بعضهم البعض... لكن الرجال الفاسدين... يطمعون في أكثر من نصيبهم... و يتهربون من الخدمة العامة و النتيجة هي التنازع"<sup>1</sup>، و القول يحمل دلالة واضحة على وجود طرف صالح و طرف فاسد، و

1 - ديريك هيتز: تاريخ موجز للمواطنة، ترجمة أصف ناصر و مكرم خليل، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2007،

بوجود الحاكم الفاسد يحل الظلم وتسود روح البطش و الاستغلال و تعم الفوضى، التي تشكل طبقة مستغلة و طبقة مستغلة محترقة، و هذا هو عين الأزمة الذي عمل أرسطو بتتظيره على تجاوزها.

هذا وقد شهدت الهوية الإسلامية تأزما خاصة بعد وفاة الرسول ﷺ حيث راح أعداء الإسلام في هدم الهوية الإسلامية من أمثال عبد الله ذي الخويصرة وعبد الله بن سبأ وذلك عن طريق نشر الفتن وبث روح الفوضى والسعي وراء تجزئة الأمة الإسلامية معتمدين في ذلك على:

" - عناصر الاختلاف السياسي بتغذية الأنانيات المختلفة

- عناصر الاختلاف الطائفي بإلقاء جراثيمة الخلاف في العقائد

- عناصر الاختلاف المذهبي بتشجيع التعصب المذهبي الذميم

- عناصر الاختلاف العرقي والقومي واللغوي بإحياء الجاهليات القديمة<sup>1</sup>.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد عامل مهم أدى إلى تدهور الموروث في الإسلام يمكن أن نصفه و نعبر عنه بالقابلية للاستعمار على حد تعبير مالك بن نبي<sup>2</sup>، و ذلك من خلال تنازل السلاطين العثمانيين بالقناصل الأجنبية و في هذا الصدد نجد ابن خلدون قدم تفسيراً دقيقاً ساري المفعول إلى يومنا هذا، للوضع الذي آلت إليه الهوية الإسلامية المغلوبة المولعة بتقليد الغالب في عقليته، و نمط معيشته، و ثقافته، "أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها و انقادت إليه... لما تغالط من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، و إنما هو لكمال الغالب و لما انتحله من العوائد

1 - الموقع الإلكتروني [www.alukah.net](http://www.alukah.net)، تاريخ الاطلاع 2017/01/07، 18:55.

2 - مالك بن نبي 1905م-1973م مفكر جزائري احد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين و يمكن اعتباره امتداد لابن خلدون و يعد من اكثر المفكرين المعاصرين الذين نبهوا الى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة من أهم مؤلفاته، الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، من اجل التغيير، ميلاد مجتمع.

مذاهب"<sup>1</sup>، أي أن الأمة الإسلامية انقادت الى حالة الشعور بالنقص اتجاه الآخر كأكبر خطوة اسقطتها في فخ الخضوع والتبعية.

كما نجد عامل مهم من بوادر أزمة الهوية الإسلامية والمتمثل في حملة نابليون على مصر " ويذهب أغلبية الباحثين في موضوع النهضة الحضارية العربية الإسلامية الى أن المواجهة الحديثة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الغازية متمثلة بالحملة الفرنسية على مصر 1798م، هي التي ولدت تيار التغيير والتجديد الإسلامي، الذي رأى أعلامه فيه طوق النجاة من هذا الخطر القادم الطامع في احتلال الأرض ونهب الثروة، والطامح إلى احتلال العقل وتأييد الاحتلال في كل الميادين"<sup>2</sup>.

و بتغيير المنحى نجد فلاسفة العقد الاجتماعي كان لهم نصيب وفير من النقاش حول أزمة الهوية فتوماس هوبز لطالما جاء مناديا بحقوق الافراد و المساوات الطبيعية بين البشر، و إرساء دعائم القانون الذي يمنح الناس حرياتهم كمبادئ بديلة عن الوجه المتوحش للإنسان، أين تتحول الذوات الإنسانية الى ذئاب مفترسة " ولما كان كل انسان في هذه الحال أن يدعم كيانه و يزيد من قوته بلا نهاية على حساب الآخرين و يسعى إلى السيطرة و اكتساب احترام الآخرين، فان العلاقة تصبح علاقة حرب مستمرة هي حرب الجميع ضد الجميع"<sup>3</sup>، فهوبز صور الأغلبية القوية العاملة على نفي و سلب غيرية الأقلية الضعيفة.

وفي نفس النسق ذهب جون لوك و ربط الهوية بالشعور الذي لا ينقسم عن الفكر، و ليس الفكر المتعصب الذي يجعل من هوية الانسان شيء محنط، إنما الفكر الذي يمتاز بالوعي و الحرية،

1 - ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1984، ص 147.

2 - خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 2009، ص 15.

3 - أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، ط5، 1990، ص 61.



مما شن حرب على سلطان الملك المطلق او الالاهي و معارضة سلطة الكنيسة المنتهية إلى القهر و التعسف " وقد عني لوك بالدفاع عن الحرية في كل أشكالها، سواء على المجال السياسي أو الديني و الفكري، أو المجال الاقتصادي بل جعل الوظيفة الأساسية للدولة هي الدفاع عن هذه الحرية"<sup>1</sup>، ففي ملكة الحرية يجد الفرد نفسه بعدما أن فقدها و غُيبت عنه في ظل نظام الحكم المطلق.

و بالانتقال الى جون جاك روسو فقد كان يملك نظرة عن حقيقة الانسان متحدثا عن الإهانة و كمبعوث للمصطلح في العصر الراهن الاحتقار، مكونا فلسفة إلى حد ما تشبه فلسفة الاعتراف في زمننا المعاصر " إن العبد الذي ملك في الحرب أو الشعب المقهور غير ملزم نحو مولاه بغير الطاعة، ما اكره عليها... إذا نيله عليه سلطانا مضافا إلى سلطان الحرب فتظل حالة الحرب قائمة بينهما كما في الماضي، و تكون صلة كل منهما بالأخر معلولا لها"<sup>2</sup>، فالحكام و المحكومين في جدل لا نهائي فالمحكوم حكم عليه بفقدان معناه و ماهيته تحت وطأة الطاغية.

كما نجد الفيلسوف النقدي التنويري ايمانويل كانط الذي التفت من حوله مدرسة فرانكفورت فيما بعد كما لو أنه شعاع فائق التأثير فيهم لم يغفل الحديث عن موضوعنا، و لعل مشروع السلام الدائم يحتل الصدارة من بين مؤلفاته، كصدى يستجيب لمقتضيات قضيتنا، و من أهداف كانط في هذا الكتاب التعبير عن الاستعداد الطبيعي الكامن في الانسان، و الذي يصور لنا حب الناس و ميلهم الطبيعي لحسن المعاملة و احترام الاخر، فاحترام الاخر سبب يتسبب في احترام هويته" و أول واجبات العدل هو واجب احترام حقوق الاخرين... فإذا اهتدى كل انسان بالعدل والحفاظ على حقوق كل البشر لن يكون هناك بؤس في العالم، لأن المصدر الصريح و القوي لبؤس الانسان

1 - أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس: ص 62.

2 - جون جاك روسو: العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1995، ص، ص، 39، 40.

عند كانط... ظلم الانسان باغتصاب حقوقه"<sup>1</sup>، من الواضح أن الحروب الراهنة من صراعات محلية أو نزاعات سياسية دولية و الحركات الإرهابية، إنما هي نماذج حية لتمرد الهويات، كان كانط قد سبق و حسس بهولها و مخاطرها على واقع الانسان، مثلما يحدث على مستوى الدول العربية في وقتنا نتيجة تدخل البلدان الغربية في شؤونها الداخلية حيث نجد المادة الخامسة من قانون كانط تنص على تجاوز هاته التدخلات " لا يجوز لأي دولة ان تدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها"<sup>2</sup>، كما ان مشروع السلام الدائم يحمل في طياته أطروحات كالمواطنة و القوانين السياسية، التاريخ العالمي، مجتمع عالمي أخلاقي، مفاهيم الحرية، الحق، الواجب و الاعتراف، و كل هذه المقولات تتحد لتمس و تغطي انشغالات هوية الانسان، فهذه الأخيرة خلال مسارها الوجودي تسعى إلى معاملتها معاملة أخلاقية تضمن الاعتراف بها و منحها حقوقها و التعامل معها كذات مواطنة عليها واجبات و لها حقوق، و هذا ان كان يدل على شيء فهو يدل على النقاء الاخلاق بالسياسة لتحقيق غاية اسمى " ان الحق لا يمكن اقامته الا بالعدالة"<sup>3</sup>، فالحق مفهوم سياسي و العدالة مبدأ أخلاقي لطالما اعتنقا ببعضهما في فلسفة كانط، و من الفلاسفة الذين كان لهم تصور فلسفي حول الانسان و الهوية هيغل، و الذي يمكن تلخيص ما جاء به في هذا الموضوع في جدلية العبد و السيد، ومقولة الحرية و التي تعد بالنسبة له مقولة انطولوجية اكثر منها تاريخية فالهو أو الذات الإنسانية في صراع دائم مع نوات أخرى، تسعى على مسار الوعي التاريخي الى بلوغ انوجادها المتمثل في الحرية، فالذات ترى في الطرف الآخر عدو لها فالعلاقة عدائية و هدفها هو سلب الهوية" الوعي الذي ينقسم على ذاته حين يقف على ان الاخر قوة تهدد مصيره بالفناء و الزوال ما لم يمضي في المواجهة مع هذا الاخر، حتى اقصى حد لها و هو الحياة و الموت هذا... هو الصراع الذي ينشب بين البشر و الذي يخرج بعض الناس منه أحرارا لانهم مضوا في الشوط الى

1 - فريال حسن خليفة، الدين و السلام عند كانط، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص 153.

2 - أيمانويل كانط: مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1952، ص31.

3 - المرجع نفسه: ص111.

نهايته"<sup>1</sup>، فالوعي بالآخر هو الوحيد القادر على تنبيه الانا بذاتها، من خلال سعيها الى الاعتراف بها من قبل الآخر، غير أن كل طرف يسعى الى موت الطرف النقيض أي ضرورة وجود العبد و السيد أحدهما ينتصر و الآخر ينهزم " بينما يخرج بعضهم الآخر عبيدا... لانهم جزعوا من الخاطرة بالحياة خشية الموت فلم يكن بد لهم من ان يقعوا في ربة العبودية، ليحفظ عليهم السيد حياتهم، و لكن تحرر جميع البشر خطوة انية عندما يستعيد العبد حريته، بتوسط الطبيعة بينه و بين السيد، بينما يقع السيد عبدا لعبده نتيجة لاعتماد السيد على عبده في تجهيز الطبيعة له كي يستهلكها"<sup>2</sup>، كما ان العلاقة بينهما هي علاقة حتمية في الوجود البشري فهذا الصراع يتضح على نحو اجابي لأنه بمثابة محرك للتاريخ فالعبد عبر الزمن يتحول الى سيد و السيد يستبدل مكانه بمكان عبده، و هذا ما يعرف بالارتقاء الى مستوى العقل عند هيغل، فالعبد يعي هوسه من خلال الوعي بذاته و تجاوزها الى الوجود بالآخر، أي أنه يدمج الغيرية مع الأنية عن طريق السلب " للسلب مرحلتين أساسيتين في الأولى يتمايز الشيء من نفسه أو يصير آخر و في الثانية يهيمن على هذه الاخرية، و على هذا التمايز (سلب السلب) وذلك بأن يستدمج هذه الاخرية في ذاته، فيصبح التمايز و التناقض و الاخرية جزءا من كون الشيء نفسه او من هويته ذاتها"<sup>3</sup>، و فحوى القول أن وجود الأنا لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال وجود الآخر، فالانا ضروري للآخر رغم الجدل و الصراع فالصراع هو المؤدي إلى معرفة و تشكيل الهوية.

و من المتأثرين بهيغل ماركس الذي رأى أن الخلافات هي المحرك الأساسي للتاريخ، و قد عالج أزمة الهوية على المستوى الاقتصادي بدرجة كبيرة مقارنة مع مستويات أخرى، فالاستيلاء مصير الانسان في ظل النظام الرأسمالي " إن ماركس يشدد على نقطتين...في تطور العمل،

1 - يوسف سلامة: مفهوم السلب عند هيغل، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2001، ص 18.

2 - يوسف سلامة: مفهوم السلب عند هيغل، ص 18.

3 - المرجع نفسه، ص 49.

وخصوصا العمل في ظل شروط الانتاج الرأسمالي، يقصي الانسان عن قواه المبدعة... إن موضوعات عمله تصبح موجودات مغربة تقوم بالتحكم به آخر الأمر، و تصير قوى مستقلة عن المنتج، يوجد العامل من أجل تطور الإنتاج و ليس تطور الإنتاج من اجل العامل"<sup>1</sup>، و يخص ماركس بالحديث الطبقة الكادحة (العاملة، البروليتاريا)، كأكبر فئة مغتربة الهوية فاقدة لوجودها الحقيقي اكبر من أي طرف آخر " الطبقة العاملة هي الطبقة الأكثر اغترابا، إن هذا الافتراض يستند على فكرة أن العامل الذي لا يشارك في إدارة العمل و الذي يستخدم كجزء ملحق بالآلات التي يخدمها يتحول الى شيء عبر تبعيته لراس المال"<sup>2</sup>، و التشيأ من المفاهيم التي يقع فيها الانسان المعاصر كأشبع مظهر من مظاهر ازمة الهوية، و بهذا ففكر ماركس استشراف لما آل اليه العالم الرأسمالي، هذا و قد تكلم ماركس عن انخلاع هوية الانسان في اطار معتقداته الدينية، و من الاقوال الشائعة و المنسوبة الى كارل ماركس الدين افيون الشعوب، إلا انها لم تفهم في سياقها و معناها الذي أراد ان يوصله، فما أراد أن يقوله هو ان الايمان ذو الطابع الوثني يحد من قدرات الانسان حيث استدعى أن يكون الايمان ذو طابع حي له صدى و روح خارج نطاق المركزية العمياء أين يفقد الانسان ذاته" الأوثان هي من عمل يدي الانسان إنها أشياء يقوم الانسان بعبادتها و الركوع لها، إنه يقوم بعبادة الشيء الذي خلقه هو بذاته، و إنه بذلك يحول ذاته إلى شيء، و ينقل إلى الأشياء التي خلقها خصائص حياته، كما أنه بدلا من أن يمارس ذاته كفرد خارق، فإنه يكون في حالة تواصل مع ذاته فقط عبر عبادة الوثن، بهذا يصبح الانسان متخلعا عن قوى حياته عن ثروة طاقاته و يكون متوصلا مع ذاته في طريقة خضوع غير مباشرة للحياة المجمدة في شكل وثن"<sup>3</sup>، و بتنامي التطور الكرونولوجي تظهر حركات استعمارية لدول العالم الغربي خدمة

1 - إيريك فروم: مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص، ص، 66، 67.

2 - المرجع نفسه: ص68.

3 - إيريك فروم: مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، ص، ص، 63، 64.

لمصالحه و بسط نفوذه و استنزاف الثروات على حساب دول العالم الثالث، أين تثار الحروب و تعم المخاوف و تبرز قضية الهوية كأهم ماهية و جوهر تم تبخيسه، " فالاستعمار في صيغته الخاصة يفرض على المجتمع الذي يخضع لسيطرته نماذجه الثقافية الخاصة بالهوية، و هو يمارس اشكالا مختلفة من الضغط و الاكراه... و ذلك من أجل دفع المجتمع المستعمر إلى التكيف مع هوية أخرى مختلفة، و يضاف إلى ذلك أنه يدفع كل فرد إلى تبني هوية فردية أخرى، و إلى تمثل سلوك آخر و سمات شخصية أخرى كما يعمل على تغيير البنية الاجتماعية للجماعة و إلى احداث تغير عميق في نظامها المرجعي الثقافي"<sup>1</sup>، حيث نجد عدد لا يعد و لا يحصى من الفلاسفة المعاصرين اتجهوا لحل إشكالات هذا الغزو على الهوية، و بعد أن أخذ الاستعمار وجهه التقليدي و المباشر ظهر استعمار غير مباشر ذو طبيعة متوحشة، و لعل كتابات فرنسيس فوكوياما<sup>2</sup> و صاموئيل هنتنغتون كافية و وافية للترويج للنموذج الغربي فهي إيديولوجيا و صناعة أمريكية حيث أصبحت هوية العالم في ظل ما يسمى بالعولمة هوية قلقة و منزعجة حيث لم يسلم لا الانسان الغربي الذي وقعت هويته في ازمة أخلاقية و مأزق العدمية و الفردانية، و لا انسان دول العالم الثالث المسلوب الحرية و مسلوب الوعي و مغترب الهوية الثقافية " الاقتلاع الثقافي و هي حالة يجد فيها الفرد نفسه أو الجماعة أو المجتمع داخل غمار حياة أخرى، أو ثقافة أخرى تختلف عن ثقافته الأصلية أو عن حياته المعهودة، و من هنا ينظر إلى ذلك الانسان بوصفه مهاجرا ثقافيا"<sup>3</sup>، فالعولمة تحدي تتصاعد فيه الهيمنة الأمريكية، و التي أداتها المتقدمة الصهيونية، تحدي يكشف ضعفنا التاريخي و الحضاري أين تتحول هويتنا فيه إلى هوية صماء معزولة عن سياقها التاريخي.

1 - أليكس مكشلي: الهوية، ص 154.

2 - فرنسيس فوكوياما: 1952م فيلسوف واقتصادي و سياسي امريكي ياباني، اشتهر بكتابه نهاية التاريخ، و الانسان الأخير الصادر عام 1992م، و الذي جاء فيه أن انتشار الديمقراطيات الليبرالية و الرأسمالية و السوق الحرة في أنحاء العالم قد يشير الى نقطة النهاية للتطور الاجتماعي و الثقافي و السياسي للإنسان.

3 - أليكس مكشلي: الهوية، ص 156.

مع العلم أن النموذج المختار في بحثنا الفيلسوف ريجيس دوبريه إهتم بمأزق الهوية في إطار العولمة، والتي يرى فيها الكثير من الوقاحة في تجاوز صلاحياتها "ثمة فكرة غبية تفتن الغرب ليست الإنسانية بخير وستغدو أفضل من دون حدود"<sup>1</sup>، فالعولمة عنده إشارة ودليل على وقوع البشرية في أزمة هوية لما لها من قدرات على بعث روح الخوف.

---

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ترجمة ديمة الشكر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، د ط، دت، ص9.

# الفصل الأول:

أثر العولمة على  
الهوية

ان الصورة التي صورتها لنا ملامح العصر الراهن تقول لنا ان القرن الواحد والعشرين قرن دخول العالم في مرحلة جديدة، أعلنت تعاقدها مع العولمة على مستوى كل المجالات، خصوصا وان عصر العولمة تجاوز الهويات وأعاد صياغتها بما يتناسب مع طبيعتها، مفجرا بذلك ازمة الهوية والاشكال المطروح ماهي الدرجة التي توصلت اليها العولمة في تهجين هوية الانسان المعاصر؟

### المبحث الأول: مفهوم العولمة

يتميز المجال العام في الآونة الأخيرة بتحديات تواجه الهوية و الأنا، قد تمتد هذه التحديات إلى حد المساس بكيان الامة ووجودها حيث تتجه الحضارة في زمن ثورة العلم والتقنيات إلى تشييد وضع ثقافي جديد، والعولمة هي الوضعية الوحيدة والمتفردة التي انحسرت فيها الحالة العالمية الراهنة والسؤال المطروح هو ما مفهوم العولمة؟

#### أ- لغة:

ان هذا المفهوم من المفاهيم غير الواردة في بعض المعاجم والموسوعات على اعتبار أنه من المصطلحات الجديدة لكن ليس من المستحيل ضبطه "العولمة هي الترجمة لكلمة **globalisation** المشتقة من كلمة **glob** أي الكرة، والمقصود هنا الكرة الأرضية، و يتحدث علماء الاجتماع في مجال التحديث عن **global culture** الثقافة العالمية"<sup>1</sup> فكلمة العولمة مشتقة من كلمة العالم، و هي الأمر الذي يعرفه العالم أو المنتشر عالميا إضافة إلى ذلك تركيزها على البعد الثقافي كأهم موضوع في قائمة أعمالها، فالعولمة دخيلة على اللغة العربية، وهي في ذات الوقت تشير الى هذا الوجود العريض لتدل على جعل الأشياء أو الموجودات تحت إمارة واحدة أو حكم واحد .

<sup>1</sup> - بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي (رؤية نقدية) د ط، د ت، ص 92.



## ب- اصطلاحا:

تنظر العولمة الى العالم على أنه قرية صغيرة متوحدة و متجانسة" تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة"<sup>1</sup>، أي توحيد العالم بصيغة واحدة شاملة للجميع و من كل النواحي و المجالات الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية بغض النظر عن الدين و العرق و الجنس و الثقافة، فهي تعميم للنموذج الغربي الأمريكي خاصة "مصطلح انتشر في السنوات الأخيرة فكرته الأساسية ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع و الخدمات او في انتقال رؤوس الأموال (الرأس مالية هي ديانة الإنسانية أو النسبية الفكرية ستكون لها الغلبة على المطلقات الإيديولوجية) أو في انتشار المعلومات و الأفكار و سرعة تدفها، أو في تأثر امة بقيم و عادات و تقاليد و قواعد غيرها من الأمم"<sup>2</sup>، مما يتضح لنا أن العولمة عملية اقتصادية في المقام الأول ثم سياسية و يتبع ذلك البعد الاجتماعي و الثقافي كما يمكن تعريف العولمة على أنها "رسمنة العالم و تتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز و سيادة النظام العالمي الواحد، و بالتالي اضعاف القوميات و إضعاف فكرة السيادة الوطنية، و صياغة ثقافة عالمية واحدة تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية"<sup>3</sup>، فهي سعي لفرض الرأس مالية و القيم الليبرالية الغربية على كل الشعوب مما يؤدي على اندثار الخصوصيات و حدوث أزمة انغلاق عند الشعوب الضعيفة، هذا وقد عرفها رونالد روبرتسون<sup>4</sup> كالتالي "تشكيل و بلورة العالم بوصفه موقفا واحدا و ظهور بحالة إنسانية

1 - بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي، ص 92.

2 - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 306.

3 - المرجع نفسه: ص 307.

4 - رونالد روبرتسون: 1938م عام اجتماع انجليزي يصف العولمة بانها عملية انضغاط ككل للعالم و تكثيف، السمة

الرئيسية للعولمة تكمن في ضغط المجتمعات البشرية ليعيشوا في نفس الفضاء و هي فراغ نوعي و ظاهرة متناقضة

عالمية واحدة<sup>1</sup>، فالعولمة وفق هذا المنظور هي حركة إعادة بناء الحالة العالمية وجعلها وضعية واحدة

في حين ذهب فالرستين<sup>2</sup> واتخذ موقفا سلبيا إزاء العولمة "ويذهب فالرستين على أن تعميم المنطق الرأسمالي و تعميقه يتسببان في تحديات بالمقياس العالمي، و يضيف على ذلك ردود الأفعال ضد الغرب و ضد الحداثة...إذا فالمنطق الداخلي للنظام العالمي الراس مالي يتسبب في الاثنين معا، التكامل العالمي و الانهيار العالمي...إنه يعتقد ان هناك في النهاية خطر انهيار النظام العالمي و سقوطه"<sup>3</sup>، فالعولمة سبب للصراعات العالمية و سبب في بروز الثنائيات المتقابلة كالتنافر بين الشرق و الغرب و جدلية الحداثة و التجديد و التراث و الأصالة.

كما نجد روزينو يعرف العولمة كالتالي " العولمة تعني في اطاره الانتمائي: لقد تركت البشرية عصر السياسة الدولية خلفها...وقد بدأ الان عصر ما بعد السياسة الدولية الذي يجب فيه على ممثلي الدولة الوطنية أن يقتسموا المشهد والقوة الشاملين مع المنظمات الدولية والشركات التجارية المتعددة الجنسيات العابرة للحدود، و كذلك مع الحركات الاجتماعية و السياسية عبر الحدود"<sup>4</sup>، فالأنظمة تجاوزت وجودها المحلي إلى وجودها العالمي و الذي تتداخل على مستواه المنظمات الغير حكومية و المنظمات الاقتصادية، و غيرها في تحديد القرارات و المصير الاجتماعي، كما يؤكد روزينو أن الانتقال الذي عرفه الواقع العالمي لشديد الارتباط بالتطور التقني و العلمي الخارق و المتسارع " إنها التقنية التي ألغت المسافات عن طريق الطائرات النفاثة و الكمبيوتر و الأقمار الصناعية الأرضية، و العديد من المخترعات الأخرى التي تمكن اليوم الناس

1 - بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي، ص 92.

2 - فالرستين: 1930م عالم اجتماع امريكي يرى وعلى الرغم من الاستقرار الظاهر للنظام العالمي الحديث أنه يتجه في سيورته الى نهايات مفتوحة ومبهمة وخطيرة من جهة اللامبالاة، وأنه مقدم في العمق على الدخول في فترة ازمة نهائية، ومن القارئين والمستوعبين للفكر الماركسي وخاصة لينين.

3 - اولريش بك: ماهي العولمة؟، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ط1، ص57.

4 - المرجع نفسه: ص 58.

و الأفكار و البضائع من عبور الأمكنة و الأزمنة بصورة متزايدة و بشكل أسرع و أضمن من أي وقت مضى، إنها باختصار التقنية التي قوت التبعيات المتبادلة بين المجتمعات المحلية و الوطنية و الدولية<sup>1</sup>، فالعولمة في رأيه وليدة التطور العلمي الذي سلك طريقا لا رجعة فيه و الذي يتخذ من ذاته قيمة عليا

بالإضافة إلى تسيغمونت باومان<sup>2</sup> "العولمة والأمكنة ليستا جانبيين لبستا وجهين لشيء واحد فحسب، بل هما في الوقت نفسه قوتان دافعتان وشكلان تعبيريان عن تقطيب (من القطب) و سترجة (من الاستراتيجية) جديدين لسكان العالم إلى أغنياء معولمين وفقراء مؤمكنين"<sup>3</sup>، المقصود ان العولمة تعمل على تقسيم البشرية وتوزيعها توزيعا جديدا، طرف تمنحه الامتياز والثروة وطرف يعاني من الحرمان، الأول يتمتع بالحرية والثاني مسلوب الحرية، فالعولمة إعادة بعث لجدلية العبد والسيد لكن بطرق وأساليب جديدة.

كما نجد زيجلر<sup>4</sup> يقدم طرحا حول العولمة فيقول "إن عالمة السوق و تسلسل فقرها المدقع تستنهض في أثر معاكس حركات تتمسك بالهوية، لها الطابع المحلي بالضرورة لأنها تستمد جذورها من معين سلفي يتميز بوهن بنيانه المفهومي لكنه عميق جدا"<sup>5</sup>، فالمشكل ليس في توحيد العالم إنما يكمن في الطريقة التي يتوحد بها، فعوض أن تبحث العولمة عن إيجاد مفاهيم إنسانية فعلية و تصنع هوية جمعية موحدة فهي تقوم بعملية استيعاب تعسفي لجميع الشعوب عن طريق

1 - اولريش بك: ماهي العولمة؟، ص 60.

2 - تسيغمونت باومان: 1925م-2017م عالم اجتماع بولندي يرى ان المرحلة ما بعد الحداثة احدى اكثر المراحل اثاره للقلق بالخصوص الذات و المجتمع، و يرى ان انسان ما بعد الحداثة انسان غريب بلا جذور ضل الطريق نتيجة الشك و الازدواجية أهم مؤلفاته سلسلة السيولة التي توصف انها ابتلعت كل شيء، الحداثة السائلة، الحياة السائلة، الحب السائل، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، الأزمنة السائلة، الخوف السائل.

3 - المرجع نفسه: ص 86.

4 - زيجلر: 1926م-2012م مؤلف و مندوب مبيعات ومحاضر لتحفيز الجماهير امريكي الجنسية من مؤلفاته اراك على القمة، طريقة الله لا تزال أفضل طريقة.

5 - السيد ياسين: العالمية والعولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002، ص 136.

عالمية السوق و هذا ما يؤدي إلى ظهور ردود فعل دفاعية مضادة متمسكة بهويتها تعمل على التحدي في وجه العولمة.

دون ان ننسى مساهمة هابرماس<sup>1</sup> في هذا الموضوع حيث يرى أن أداة العولمة الأولى التي تعتمد عليها هي التقنية التي ساعدت على بزوغ عالم افتراضي ما جعل مشروع الفضاء العمومي عنده مشروعاً عقيماً. مشروعاً متوفي لحظة ميلاده " لا تفرض تكافؤاً وان واقعها لا يلتزم بشروط الحوار او منطق الخطاب المبرهن بل يفترق للصلاحيّة والمسؤولية والصدق و المعقولية و كافة اشكال التعامل العقلاني و أخلاقيات التواصل"<sup>2</sup>.

هذا و يمكن تقديم جملة من نماذج في الفكر العربي المعاصر قدموا تفسيرات يبررون بها موقفهم من العولمة حيث نجد علي حرب<sup>3</sup> تتبلور فكرته عن العولمة انطلاقاً من رأي الانفتاح و التعايش العالمي، فهو يرحب بها على اعتبار أنها واقع معاش لا يمكن الفرار منه، بدل من إنماء الشعارات التعصبية و الطائفية و الدعوة إلى الانخراط في العولمة حقيقة حتمية واقعية "فعلي حرب يدعو للتحرر من ذهنية القوقعة و التعامل مع معطياتها و بالتالي فهو لا يتعالى على العولمة و

1 - هابرماس: 1929م فيلسوف وعالم اجتماع الماني معاصر يعد من اهم منظري مدرسة فرنكفورت النقدية، صاحب نظرية الفعل التواصلي الكاشفة عن نظام أخلاقي ضمني وهو الاخلاق الكلية عبر النقاش الحر و العقلاني، عمل فكره على انقاذ العقل من اللاعقلانية، كون النقد أداة لتغيير المجتمع من جذوره و ادراك الاختلاف بدلا من التوحد.

2 - عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر (أسئلة المفهوم والمعنى و التواصل)، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008، ص، ص، 262، 263.

3 - علي حرب: كاتب ومفكر وفيلسوف لبناني شديد التأثير بجاك دريدا يقف موقفا معاديا من النخبوية والاصولية الفكرية، يعتبر من خلال تحليل خطاب الحركات الإسلامية المتطرفة أنه لا بد بعد هذه الكوارث و الانهيارات التي سببتها هذه الحركات ان تعالج الأمور بطريقة جديدة و مختلفة، بدءاً بالتوقف عن استخدام الدين كعنوان للفكر و الحياة أو للإصلاح و النهوض، لان تغليب منطق الدين و الطائفة و المذهب على لغة المواطنة و الدولة لا ينتج الا ما يفاجئ من الحروب الاهلية.

لا يقترح عولمة بديلة، و إنما ينخرط فيما أنجزت و حققته<sup>1</sup>، و ذلك حتى لا نكون بدوا أو بربرا، أي الانتقال من حياة العصبية إلى الحياة المدنية.

بالإضافة الى طه عبد الرحمان<sup>2</sup> الذي تختلف نظرتة حول العولمة عن نظرة علي حرب "تعقيل العالم بما يجعله يتحول الى مجال واحد من العلاقات بين المجتمعات الافراد، عن طريق سيطرات ثلاث، سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية، سيطرة التقنية في حقل العلم، وسيطرة الشبكة في حقل الاتصال"<sup>3</sup>، فطه عبد الرحمان وما هو معروف حول فلسفته التي تركز عن البعد الأخلاقي يرى في العولمة تلاشي للقيم وتمرد على المرجعيات الدينية والثقافية والاجتماعية، ضياع لانتماء الانسان ومن ثم تشييء الهوية.

وبالانتقال الى عبد الوهاب المسيري<sup>4</sup> فهو يعرفها بقوله "إحساس بعدم الانتماء الى وطن محدد وتقبل أفكار حضارية عامة"<sup>5</sup>، فهو ينطلق في تعريفه للعولمة نظرا لتأثيرها على الانسان، والفعل الناتج عنها وليس انطلاقا من المثل والشعارات التمويهية والتضليلية التي تنادي بها.

- 
- 1 - صباح قارة: إشكالية تشييء الانسان في الحداثة الغربية من منظور عبد الوهاب المسيري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، قسم اللغة والادب العربي، السنة الجامعية 2012، ص72
  - 2 - طه عبد الرحمان: 1944م فيلسوف مغربي برع في المنطق وفلسفة اللغة والاخلاق، أحد أبرز المفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي، يسعى الى بناء فلسفة أخلاقية إسلامية بواسطة المفاهيم السابقة مستحضرا المسلمات الأساسية في نقد واقع الحداثة الغربية، و هي مسلمة لا انسان بدون اخلاق.
  - 3 - طه عبد الرحمان: روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 78.
  - 4 - عبد الوهاب المسيري: 1938م-2008م مفكر وعالم الاجتماع مصري كان صاحب رؤية فلسفية حضارية، تؤمن بتعدد ابعاد مشروع التأسيس الحضاري في مجالات العلم و المعرفة و الاخلاق و القيم و السياسة و الاجتماع، مما جعله يؤسس مشروع فكري تجديدي منهجي له امتدادات ايمانية و إنسانية بما يمتلكه من أدوات و آليات صياغة، و صقل جوانب أساسية في الهوية العربية الإسلامية
  - 5 - عبد الوهاب المسيري: رحلة فكرية في البذور والجنود والثمر، (سيرة غير ذاتية)، دار الشروق، ط1، 2006، ص 25.

من خلال التعريفات السابقة استنتج أن جل التيارات والنماذج الفكرية المعاصرة تطرقت للعولمة من منظور نقدي بالرجوع الى نتائجها السلبية على الواقع الاجتماعي، مما انصبت واتجهت أهدافهم الى إعادة بناء الفضاء العمومي.

## ج- عند ريجيس دوبريه

صاغ دوبريه مفهومه للعولمة بالاعتماد على عدة ابعاد فقد ركز على البعد الاقتصادي والتكنولوجي و السياسي و الأيديولوجي، واصفا إياها باللاحودية و التي توقع العالم في طوباوية يتجرد فيها الانسان المعاصر من واقعيته.

1. البعد الاقتصادي: تتضح لنا نظرة ريجيس دوبريه الاقتصادية عن العولمة من خلال قوله " و تكون من خلال اعتماد السوق العالمية و ادخال اقتصاد المقاييس و النوعيات و إضفاء هالة القلب الطيب و المشاركة في المصائر على حرية النقل و العبور لرؤوس الأموال و البضائع...فإن هذه النزعة تقنع الشركات المتعددة الجنسيات و تعطيها صورة الاخويات، و توجه ركلة الى السياسي الخاضع للقيد الانتخابي...مافيا اكثر و تعطي بريقا من الكرم لقانون حكم القوي على الضعيف...و تغطي بمعطف الرحمة و الشفقة المخالفات العقارية و الخصخصة"<sup>1</sup>، فنظرته اتجاه العولمة نظرة نقدية، فهو يعمل على كشف حقيقتها الخفية، فهي تشجع الاقتصاد العالمي و الذي يبدو في ظاهره اقتصاد شرعي إلا أنه يسلك طرق و أساليب ملتوية و غير قانونية، فالعولمة تشرع لنفسها القوانين التي تخدمها، فتتخذ من شعارات الانفتاح و الحرية و التطور و النمو مبرر يسهل لها عمليات الاستغلال و استنزاف الخيرات و تحقيق المطامع و المكاسب المادية على حساب الكيانات المستضعفة.

2. البعد التكنولوجي: يقدم الميديولوجي ريجيس دوبريه موقفا متحسسا وسلبيا اتجاه التقنية وعلاقتها بالعولمة" التقنية أداة معيارية لا خط طول لها ولا خط عرض...هذا الشطط...الآلي الروبوتي الذي يقدم نفسه على أنه تجاوز الثقافة العالمية"<sup>2</sup>، فالعولمة التكنولوجية أرضية صلبة لانقلاب كل شيء، حيث أصبح كل شيء مهدد بما في ذلك القاعدة الحيوية و المعنوية للهوية

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص، ص 64، 65.

2 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 65.

الشخصية و هذا ما أكدت عليه جاكلين روس<sup>1</sup> إن العلوم و التقنيات الحديثة تثير بصورة مشروعة الخوف<sup>2</sup>، فالمنطق الذي يسير الالة منطق غريزي هدفه التحكم في مصير الانسان.

3. البعد السياسي: يرى مفكرنا ان العلاقة الموجودة بين النظام السياسي والعولمة

وجدت أصلا لخدمة مصالحها "استبدادية لا يستبطن الجانح فكرة الحدود، و لا النبي كذلك و العالم المزيف أيضا لهؤلاء الدهاة الثلاث شيء مشترك أن يفوقوا الحدود و يتجاوزوها بما أن لديهم إجابة عن كل شيء و يعتقدون أن كل مكان هو بيت لهم"<sup>3</sup>، فالقضية قضية الصراع من أجل السلطة فالأنظمة السياسية على اختلاف أنواعها و في ظل النظام العالمي الجديد تسعى إلى القيادة و النفوذ و هذا ما نجده عند الان تورين<sup>4</sup> لقد تدخلت الدولة إذا في كل الميادين، الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و أكثر الأحيان بطريقة استبدادية...وقد لبثت أوروبا زمنا طويلا تأمل بإنجاح تنمية اقتصادية تفوق النموذج الأمريكي<sup>5</sup>، فالدولة العالمية أثبتت و أكدت واقعا على قدرتها في تسيير شؤون الشعوب، حسب أهوائها و استراتيجياتها إلى درجة أن الكيان الأمريكي أصبح هاجسا في وجه بقية العوالم بما فيها الدول الأوروبية المنافسة للكيان الأمريكي، و التي لم تستطيع التحدي له و التفوق عليه و هذا راجع الى طبيعة أنظمتها.

1 - جاكلين روس: 1949م كاتبة ومؤلفة بريطانية موسوعية حاصلة على دكتوراه في الفلسفة والعلوم الانسانية، اشتهرت باعمالها التي تدور حول العلاقة بين التحليل النفسي، الانثوية والادب، تنتقد بشدة الصهيونية، من اهم مؤلفاتها حالات الفانتازيا مغامرة الفكر الأوروبي، مسألة الصهيون، والمقاومة الاخيرة.

2 - جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوى، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص18

3 - المصدر السابق: ص، ص 65، 66.

4 - الان تورين: 1925م احد كبار المنظرين السوسيولوجيين في فرنسا من المهتمين بالموضوعات الاجتماعية كالعامل ومابعد التحول الصناعي و الديمقراطية و عدم المساواة، ينتمي الى ما بعد الماركسية في توكيده أن هذا المجتمع كان قد دخل حالة جديدة من التاريخية التي لا يمكن فهمها

5 - آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص 42.



4. **البعد الأيديولوجي:** لطالما كانت الأيديولوجيا من أهم المواضيع التي يندد ريجيس دوبريه بمخاطرها "امبريالية... الامبراطورية تفرض الحدود على الغير لا على نفسها"<sup>1</sup>، ومنظمة حقوق الانسان وهيئة الأمم المتحدة أكبر دليل على العولمة المتطرفة والتي تنادي بشيء وتفعل نقيضه أين تدعي تحقيق السلام وهي تستبدل الأوطان بالمخيمات فدوبريه يرى ان العولمة قادت العالم إلى الضياع بازدياد توحيده حيث ربطت وحدة الاقتصاد و السوق بالنظام السياسي و الاجتماعي الذي يأخذ بمبدأ التفوق و خضوع الاخر مسلمة وبديهية له أين يبرز الاختلاف بين القوميات " لذلك فريجيس دوبريه يراها عولمة زائفة لا تبادل فيها بالمثل فالأمر يتعلق بتغليب ثقافة الضعيف بثقافة القوي"<sup>2</sup>، مما نستنتج ان ريجيس دوبريه من منتقدي العولمة و ذلك راجع الى الأهداف الخفية التي تسعى الوصول اليها و النتائج التي حققتها.

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 66.

2 - السيد ياسين: العالمية والعولمة، ص 136.

## المبحث الثاني: العولمة التكنولوجية ودورها في طمس هوية الإنسان المعاصر

يرى دوبريه ان العولمة و بما تحمله من التطورات العلمية التكنولوجية صدمة لإلغاء الجنسية و الهوية، حيث أصبح الانسان المعاصر يعيش في عالم تميزه الاخطار و الازمات و المخاوف المتزايدة، أين طرحت مناقشات تخص ماهيته الإنسانية من كل النواحي فظهرت الكوارث البيئية و قضايا الجينات و الفجوة القائمة بين الحقيقة البشرية و الواقع الافتراضي و الاشكال المطروح هو: هل تؤدي هذه التطورات إلى هوية جديدة أم انها ستحافظ على هوية الانسان الأولى؟، هل ستعيش الهوية أزمة تاريخية عابرة أم ستنتهي تاريخيتها عند هذه النقطة؟ ، هل ستتحول التقنية الى معيار تعتمد عليه البشرية في تحديد هويتها؟.

ينطلق دوبريه من فكرة مفادها أن التكنولوجيا تتكاثر و تتدفق بلا حساب حيث يرافق هذا التكاثر تخلخل في المقاييس "العالم الذي لم تكن امبراطورية الأرقام و الصورة قد هذبتة و شكلته بعد اذ كانت له أشكال يجب احترامها"<sup>1</sup>، فالثورة المعلوماتية نفي للحدود و تجاوز للواقع فلا حرمة و لا هبة لأي مكان، انعدام لمنظومة أخلاق الحوار، تعدي على الخصوصيات، و في أبسط أشكالها، حتى في نمط الغذاء و اللباس و الكلام" لا حراس في الأبنية و لا عتبات أمام المحال إنه لأمر لا يبعث إلا على الكآبة، البريد الالكتروني من دون صيغ تهذيب...وجبات الماكدونالذ من دون المقبلات، تكمن السعادة في الما قبل فليكن ذلك لكنها ليس في القفر"<sup>2</sup>، و كثيرة هي الفلسفات المعاصرة التي تحدثت عن الكآبة التي وقع في غمارها الانسان المعاصر فهناك من عبر عنها بمصطلح العدمية، و قد أشار هانس يونس<sup>3</sup> عن هذه العدمية بقوله "إننا نرتعد الان في عراء عدمية

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 60.

2 - المصدر نفسه، ص 60.

3 - هانس يونس: 1903م-1993م فيلسوف الماني اعطى مبدأ المسؤولية بعد جديد ووضحه بدلالات وشحنات تجيب عن الإشكالات التي فرضتها التطبيقات التقنية على الانسان، يتخذ من الايكولوجيا مبحثاً من مباحث فكره

تتزوج فيها أكبر قدراتنا مع الفراغ الأكبر"<sup>1</sup>، و في ظل العولمة التكنولوجية اصبحت الهوية رهان التقنية و حفاظ الذات على ذاتها أصبح أكثر هشاشة، فهناك هوة بين التقنية و الهوية على اعتبار أن الأولى لا تبالي في تطورها بالثانية متعددة على مفاهيم الخصوصية من لغة و دين و إنسانية و غيرها" و على الصور التي تلتقطها الناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) تختفي خارطة اللغات، و ينطبق كذلك على شاشة البلازما الكبيرة لغوغل بليكس... في المقر المركزي الرئيسي لشركة غوغل، حيث تنقر مئات الملايين من النقرات على خارطة العالم فكل ما هو واقعي حقيقي غير مشاهد و غير مرئي، و يتيح القمر الاصطناعي الجيو-محطي لنا رؤية الكوكب ككل كامل، لكن خارج المقياس البشري"<sup>2</sup>، فالتقنية حب للتمك و الاستعمار و الهيمنة على الاخر فالإنسان سخر قدرته العقلية في صناعة ما يسهل له قتل الاخر و القضاء على هويته" المهم ان التقنية سلبت من الانسان انسانيته و تركت اغلبية الحكم لقانون الغاب لأنها هيأت له جميع الميادين و جعلته يهيمن على من يريد و متى يحب هو ذلك"<sup>3</sup>، و بهذا فالتقنية أيديولوجية حرب و ليس علم للتسامح و التعايش، وسيلة تفقد الانسان ذاكرته اين يضع بعده التاريخي ووجوده الأول "لقد محت هذه الجغرافيا للإنسانية تاريخنا، فلم يعد من آلهة و لا من وديان و لا من أفكار مرمزة... تهمل الأفق الداخلي للإنسان"<sup>4</sup>، فالتكنولوجيا عند دوبريه عملت على فك شيفرات جميع الشعوب أين أصبحت تقرأ ما في ذهن سكان العالم مما سهل عليها معرفة نقاط ضعفهم و اكتشاف ثغراتهم والقفرة العلمية هذي تؤذن بنهاية النظام الثقافي و الاجتماعي برمته و بفقدان التوازن النفسي" و القناع الذي يرتديه الانسان الذي يتحكم بالتقنية في تسيير هذا الوجود من أجل مصالح مجتمعه و أهدافه، حتما سيقع بالروح الإنسانية المتأثرة فريسة للانهايار النفسي أو للنزاع الاجتماعي"<sup>5</sup>، فالأنترنت و

1 - جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص 14.

2 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 42.

3 - ابراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، منشورات الاختلاف، ط1، 2006، ص126.

4 - المصدر السابق: ص 42.

5 - إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، ص 130.

الإعلام في نظر دوبريه لها سلطة على جميع أشكال التعبيرات الثقافية في العالم المعاصر فهي تتعدى براغماتيا على الأفراد 'قيل لي أن محرك البحث غوغل و أن معهد باستار للأبحاث الطبية و جموع الخبراء بين الحكومات الذين يدرسون تطور المناخ ... و استوديوهات هوليوود جميعا تندمج و تحسب فوق خط الأفق، أفلا تعلمون... أن الثروات الثقافية غير المادية تسقط علينا من السماء من دون أوراق ثبوتية"<sup>1</sup>، فجميع العوامل التي وظفت كوسائل بدل منها كغاية من قبل العولمة أسهم تم تصويبها لإهمال الجانب المعنوي و الإنساني و الترويج للماديات، التي تجرد البشرية من خصوصياتها و تفرغ الانسان من معناه" و الانسان المعاصر الذي يحيا في أحضان حضارة صناعية، يعتريه قلق متأصل الجذور تاريخيا، فالازدراء السائد للمجتمع الصناعي و تكنولوجيا الرقابة و التوجس مما يأتي به المستقبل، هي اخر ألوان التعبير عن مشاعر الفرع التي نشأت في وقت واحد تقريبا مع التصنيع"<sup>2</sup>، فأزق الهوية عند دوبريه في جعل العالم يعيش في كفة واحدة، كون هذه الحياة لن تكون حياة أمن و سلم بل هي حياة تؤدي حتميا إلى عطب أخلاقي لا خلاص منه، فهي بذلك تفرض الهوية الواحدة على جميع شعوب العالم "لئن كان مفيدا وضع العالم كله ضمن شبكة متصلة فإن هذا لا يعني أننا نستطيع السكن في هذه الشبكة كما لو أنها هي العالم ذاته... فالشخصية الاعتبارية إما أن يكون لها محيط أو لا محيط لها، من هنا يأتي تعبير المجتمع الدولي إذ ليس له مكان محدد، هذا اللدن الرخو الحي الميت يبقى صيغة جوفاء"<sup>3</sup>، و في قوله دلالة على سفسطة العولمة و تلاعبها بهوية الانسان و إدخاله في تيارات متعارضة و مواقف متضاربة، و من بين أعمال ريجيس دوبريه التي عرض فيها نقده للتكنولوجيا كوسيلة من الوسائل التي تعتمد عليها العولمة في تشتيت الهويات كتابه حياة الصورة و موتها، و الذي من

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 64.

2 - سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الانسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، د ت، ص

3 - سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الانسان، ص 40.

خلاله أسس لعلم الميديولوجيا " حين يغدو كل شيء مرئيا فلا شيء يغدو ذا قيمة، فتجاهل الاختلافات يتقوى مع اختزال الصالح في المرئي و المظهر باعتباره مثلا يحمل في طياته جرثومة فتاكة تتمثل في التشابه، كل المثل المتميزة تحظى بعيانية اجتماعية قوية وما ينتج عن ذلك هو أن لغة الاغنى تصبح لغة كل الناس و قانون الأقوى القاعدة المثلى، إن عصر الشاشة حين يغدوا مسيطرا أينما كنا ستكون فضيلته الفساد و منطلقه الامتثالية و افقه عدمية مكتملة<sup>1</sup>، فدوبريه يرى أن الاعلام سبب لبروز التشابه المعيشي، و نموذج الأسلوب السائد من نصيب القوى المركزية القوية، و هذا ظلم و جور تدفع ثمنه الفئات المختلفة، فهي الطرف الخاسر في المعادلة الاستثمارية "و إذا ما حولت صور العالم هذا العالم إلى صورة فإن هذا العالم سيغدو مكتفيا بذاته، و كاملا و متوالية من التوكيدات الإيجابية إنه سيغدو عالما جديدا طيبا و رائقا<sup>2</sup>، فدوبريه يرى أن العولمة تحكمها غريزة التملك، و تسيرها أهواء الأنانية، فمهما أدعت لنفسها أن تقنياتنا تهتم بمصير الانسان فهي تبقى أقوال كاذبة غير متحققة فعليا، و من الأفضل ان ترجع الإنسانية إلى حياة البساطة و الاختلاف للحفاظ على الهويات و الاكتفاء ذاتيا، و عدم تعرض الأقليات لمواقف تجعلها فريسة لهيمنة العولمة التكنولوجية.

1 - ريجيس دوبريه: حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، د ط، د ت، ص 296.

2 - المصدر نفسه: ص 262.

المبحث الثالث: المفارقات الثقافية للعولمة واختلاط الهويات

كان من المفترض في زمن الدولة المركزية العالمية الكوكبية اندماج الشعوب و احترام الخصوصية و الاعتراف بالأخر، لكن ما هو كائن صراع فكري و زيادة الاحتكاك العنيف أين تحولت العلاقات الدولية إلى علاقات متعادلة، تتنافس سلبيا لا وجود لقيمة الحوار الثقافي على مستواها حيث تم قهر الاختلاف و النسبية، من قبل القوى العالمية و المركزية، و أين تم التنازل بالمقابل عن هذين الأخيرين كقبول للخضوع و للإهانة و الأشكال المطروح، ما الذي تنوي العولمة فعله بالثقافات و الهويات الإنسانية، هل ستجعلهم جميعا نسخا متشابهة أين يصبح الكون مملا؟ هل ستقدم للبشرية بطاقات اعتماد و تسلبهم بطاقات هويتهم؟

ينطلق دوبريه من فكرة ان الدين هو المحرك الاستراتيجي للصراع القائم بين الحضارات في ظل العولمة، فالاختلاف الديني ولد التنافر و التضاد كأهم سمة للحالة الثقافية الراهنة، و التي كان في السابق الدافع الاقتصادي سببا لها "من المؤلم الاعتراف بالعالم كما هو عليه، و من الطريف أن نحلم به مثلما نتمناه فنحن جميعا نفضل حبة الفاليوم على القلق، و من هنا ميلنا إلى العالم الذي لا حدود فاصلة فيه...عالم كهذا...هو حلم لكن بعيون مفتوحة بهدف...اشباع رغبة مكبوتة ممنوعة لا ليس رغبة جنسية، بل هي رغبة دينية...فيها نداعب كوكبا أملسا، كوكبا تخلص من الآخر"<sup>1</sup>، فالسؤال الديني مطروح ضمن قضية الهوية على اعتبار أنه سبيل لإقصاء الآخر بأسلوب التلاعب و اللاوعي الديني، و الاحتكاك الثقافي سبب لظهور التطرف الديني "فالاحتكاك الحضاري يستثير حساسية الجلد...و الاصوليون الدينيون هم مرضى جلد العالم المعولم حيث تتلامس الثقافات و تحتك...فكل اصطدام هو صرخة غضب و كل سوء تفاهم هو رغبة بالغلبة، بسبب كلمة زائدة عن حدها نتصارع و نرتصد و نهين بعضنا بعض و نستشيط غضبا يولد نرجسة الاختلافات الصغيرة التي تستخدم بالتواصل الفوري شعورا فوريا بالاضطهاد مراقبة مفردات اللغة و

---

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص14.

الانتباه الى أقل حركة و الحكم على النوايا بين الجماعات، تترك كلها أثرا مرا لعولمة غير قابلة للامتزاج<sup>1</sup>، و المقصود بعدم الامتزاج عند دوبريه هو عدم احترام الاختلاف و تقبله في الاطار العام، فهو يعاني التهميش و عدم الاعتراف و الاحتقار و يعبر عن هذا الفعل بالعجز اليوتوبي "ويكمن العجز الطوباوي بالضبط في عدم القدرة هذه على تصور الكوني في الخاص بوصفه تميزا محسوسا، فهو يذيب الخاص في الكون ولا يستطيع أن يضفي على نفسه بفعل ذلك سوى عموميات جوفاء، و مشاريع السلام هذه تقدم إلى البشرية إذن بلاغات من غير مبلغ، و إنها لمسيحانيات جوفاء"<sup>2</sup>، ومن بين المفكرين المعاصرين الذين سخرُوا بحوثهم في مسألة احتقار الأقليات المختلفة في العالم الغربي أكسل هونت<sup>3</sup> و الذي يقول "لابد من الحذر فيما يخص النتائج السلبية الناتجة عن احتقار بعض الافراد، اذ لم يدخلوا في صراع مع القيم العالمية، فهذه مغامرة ناقصة لهم"<sup>4</sup>، فمن المهم معرفة خطر العولمة الثقافية على الهوية الثقافية، فالعولمة تعمل على هيمنة ثقافة واحدة و هي ثقافة المجتمع الغربي مما يؤدي إلى طمس الثقافات الأخرى فإن الإيروتيكية تشكل بدورها جزءا من الطابع الخاص لليابان، مثلها مثل رياضة السومو و الحوت و التونة الحمراء و القيادة على اليسار، فلكل ثقافة دمغتها و للثقافات الأخرى أيضا دمغاتها، مثل اللحية البقرة المقدسة، الفقمة في الصحن...السبحة اليونانية الممسوكة بالسبابة<sup>5</sup>، فلكل بنية اجتماعية ثقافتها و أفكارها و تراثها، تعرف بها عن نفسها فمن غير المنطقي و الأخلاقي طمس هذه الممارسات الداخلة في مجال الوعي الإنساني و الحاضرة في سجلها الوراثي الثقافي، رغم تباعد الزمان فهي تمارس ظهورا آليا لا يمكن التحكم فيه في شخصية الانسان، و الامتناع عنها عنده

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 62.

2 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 442.

3 - أكسل هونت: 1949م فيلسوف اجتماعي ألماني يركز أبحاثه على الفلسفة الاجتماعية وتتمحور الكثير من أعماله حول نظرية الاعتراف كما انه يهتم بإشكالية التشيؤ، هدفه إعادة بناء الاخلاق في العلاقات بين البشر.

4 - الموقع الإلكتروني WWW.MOMINONN.COM ، تاريخ الاطلاع 2017/02/14، 05:58.

5 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص، ص 34، 35.

يعني الامتناع عن الحياة و فقدان ذاته و آناه حيث تحل الفوضى جميع العالم " و النظام المستتب  
يحتمل مشاريع الفوضى... كما تزداد هوامش اللعبة بين الخيالي و الحقيقي"<sup>1</sup>،

فتقافة العولمة ساعدت على ظهور موضة اللامبالاة و عدم الاكتراث بمنظومة القيم و السلوكيات  
الواجب التحلي بها "ففي الواقع لم تعد ثمة حدود، فلا حدود لارتفاع الرواتب و الدخل ولا حدود  
لتفاهة السيدات الوقحات أو لخفة الرؤساء السفقاء، كذا فإن فحش هذا العصر لا ينشأ عن  
الفائض بل عن الخسارة في الحدود لم يعد من حدود لأنه لم يعد من حدود بين الشؤون العامة  
و المصالح بين المواطن والفرد بين نحن و الانا بين الكائن و المظهر بين المصرف و  
الكازينوا... بين المدرسة من جهة و المعتقدات... بين الدولة و جمعات الضغط... بين غرفة  
الملابس... و... العشب بين غرفة نوم رئيس الجمهورية و مكتبه"<sup>2</sup>، فهل هناك فوضى أكثر من  
هذه سقوط العالم بثقل مرجعياته في فخ العبثية و اللامعنى فما مصير الفرد و هو يلاحظ الكارثة  
بأعين مندهشة "كبار علماء الاجتماع الذين اعتبروا العظمة تميزا فتحوا بذلك منايير النقود و  
التمويل التي يغضبها كل حاجز و يزعجها كل استثناء ثقافي للحدود، سمعة سيئة هي تدافع عن  
السلطات المضادة فلا تنتظرن من السلطات القائمة التي هي موقع القوة أن تقوم بالترويج للحدود  
ولا من تلك المجموعات المخترقة للحدود... ففي رتابة ما هو قابل للبيع... يزداد التوق الى ما هو  
غير قابل للقياس... و إلى ما هو غير قابل للمقارنة"<sup>3</sup>

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 444.

2 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص، ص، 59، 60.

3 - - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص، ص 60، 61.



فبالإضافة إلى محدودية الثقافية و التشابه في رأي دوبريه يزيد العولمة القدرة على بسط نفوذها و الإمساك بزمام الأمور، و في نفس الصدد نجد جيرار ليكلرك<sup>1</sup> الذي عبر عن الإرغام الجبري للانضمام في صفوف العولمة و النتائج المترتبة عن هذه الممارسة التعسفية، و التي لا تجني ثمارا إلا نفور الثقافات و الهويات من الواقع العالمي "لا ينفصل ذلك كله عن الصدمات النفسية و الثقافية، إن التحول التاريخي العملاق الآخذ في الانطلاق قد جعل العادات القديمة عرضة للشك، خاصة تلك المتأصلة في الإنسان منذ القديم و الحاضرة في كل المجتمعات، الإثنية المركزية و احتقار الآخر الجهل و اللامبالاة الكاملين اتجاه عاداتهم و قناعاتهم و عالم حياتهم، إن الانفتاح بالقوة على العالم و إزالة الحواجز بين أجزاء الكرة الأرضية يعني اكتشاف الآخر حكما"<sup>2</sup>، كما يحسب دوبريه من الثقة بالعولمة خصوصا، و الهوية الثقافية هي جرد لحالات الاختلاف، فاللغات و طرائق الحياة و الأديان و العادات و التقاليد و الذهنيات و غيرها لا يمكن أن تتوافق، حيث لا يمكن أن نختر لها فالأخر لسبب هو الأنا، و العكس صحيح "لكن علينا أن لا ننخدع بكل ما ستحملة لنا العولمة فيما يتعلق بالبقنة و بكل ما ستحرره الفتيلة الشتاتية... هنا و هناك من طاقة تشع من الهوية فيض من الهجرة، انتقال للبشر و اختلاط الأعراق كلها أمور مرحب بها لكن ثوب المهرج العالمي هذا يمثل مواجهة بين الأعراق و تهجيننا لها على حد سواء"<sup>3</sup>، فالعولمة خطاب كاذب يحمل في طياته فتن هدفها شن الحروب خاصة في دول العالم الثالث فهي أيديولوجيا مآكرة هدفها نشر الشر "إن الفجر الذي وعدت به السوق الحرة الأمريكية دول العالم، هو في النهاية فجر كاذب، لأنه لسبب كل

1 - جيرار ليكلرك: 1943م مفكر فرنسي ترتبط دراساته بمجال البحث حول الوظيفة الأيديولوجية للعلوم الاجتماعية و التي يشار إليها تقليديا تحت اسم الاستشراق، علم اجتماع الثقافة، موقع المثقفين، ووظيفتهم وسط المجتمعات التقليدية ثم في المجتمعات ذات النمط الحديث و ما بعد الحديث، و العولمة الثقافية، من أهم مؤلفاته مراقبة الإنسان، تاريخ السلطة، مجتمع التواصل.

2 - جيرار ليكلرك: العولمة الثقافية (الحضارات على المحك) ترجمة جورج كنوزة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2008، ص46.

3 - ريجيس دوبريه في مديح الحدود، ص 62.

شيء يمكن أن يتاجر به، أو يجب أن يتاجر به"<sup>1</sup>، و دوبريه يرى أن مسألة الثقافة من المسائل التي تحتل المراتب الأولى من برامج الاشتغالات الفكرية كون العولمة توجه ضرباتها بالدرجة الأولى إليها و هذا ما ذهب إليه آلان تورين "إن الحقوق الثقافية لا تقتصر على حماية إرث أو السماح بتنوع الممارسات الاجتماعية بل تجبر على الاعتراف في مقابل الشمول التجريدي لفلسفة التنوير و الديمقراطية السياسية بأن يتمكن كل امرئ من بناء شروطه الحياتية على الصعيد بين الفردي و الجماعي و تحويل الحياة الاجتماعية وفقا لطريقته في الجمع و التنسيق بين مبادئ التحديث العامة و الهويات الخاصة"<sup>2</sup>، ووفق هذه المعطيات يحافظ الإنسان الذي يواكب العولمة على هويته.

1 - بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة بين رفض العرب الإسلاميين والترويج الغربي، ص، ص 152، 153.

2 - آلان تورين: براديفما جديدة لفهم عالم اليوم، ص، ص 251، 252.

## الفصل الثاني:

الاغتراب مظهر من  
مظاهر ازمة الهوية

إن الانسان المعاصر يعاني من انفعال نفسي و خوف يتفاقم يوم بعد يوم، يعاني من احباط و تشاؤم أكسبه عدم الثقة بالمستقبل، إنسان مثقل بويلات التمييز العنصري و الاثني و الديني و الطبقي والطائفي، انسان صارخ ولا احد مبالي لصرخته داخل تلك الفوضى العالمية و التساؤل المطروح هو: ما حال الهوية في ضوء هذه الغربة و هل ستعرف التحرر و الوجدان و الخلاص؟

### مفهوم الاغتراب:

يعد مصطلح الاغتراب من أصعب المفاهيم التي تداولها العلماء و الفلاسفة فهو يحمل في طياته الكثير من الالتباس والغموض كما أنه متعدد مجالات الاستعمال حيث نجده في الفلسفة والدين و علم الاجتماع و علم النفس والقانون والاقتصاد هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد أشار المفكرون والباحثون إلى هذا المفهوم بصيغ لفظية متعددة فهناك من يقول الاغتراب وهناك من يقول الاستيلاء و هناك من يفضل " الافتراق عن الجوهر و غيره من الدلالات" و على هذا الأساس يمكن طرح التساؤل التالي فيما يتمثل معنى الاغتراب؟

### أ- لغة:

في اللغة العربية نقول "غرب أي ذهب و تنحى من الناس و التغرب يعني البعد و الغربة و الغرب يعني النزوح عن الوطن و الغريب هو البعيد عن وطنه، و كلمة اغترب هي ترجمة للكلمة الإنجليزية **alienation**، و الكلمة الفرنسية **alienation** المشتقة من الأصل اليوناني **alienastis** و التي تشير إلى انتقال ملكية شيء ما إلى آخر أو انتزاعه أو ازالته، تسمية كلمة **alienats** من الفعل **alienus** بمعنى الانتماء إلى شخص آخر"<sup>1</sup>، فالاغتراب لغة يحمل دلالة البعد عن الأهل و البلد كما يحمل دلالة التنازل عما يكتسبه الانسان و معنى التبعية إلى شيء غريب عن هوية الأنا، يقابل ثلاثة ألفاظ في اللغة الألمانية **Verausserung**

1 - زليخة جديدي: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع8، جوان، 2012، ص 348.

"Enlausserung ,Enlfreldung", اللفظ الأول من اليسار يدل على معنى قانوني أي بيع الملكية و الثاني يدل على التخارج (خارج aussen) و الثالث يدل على الغربة (غريب fremd) ويعني خلق عمل موجود خارج خالقه و هو يعني الاغتراب إذ أصبح العمل غريبا عن خالقه"<sup>1</sup>,

### ب- اصطلاحاً:

من بين الفلاسفة الأوائل الذين ظهر مصطلح الاغتراب عندهم هيغل " هو العالم الموضوعي الذي يمثل الروح المغترية، وغاية الفلسفة أن تقهر هذا الاغتراب، عن طريق المعرفة يتقدم الوعي"<sup>2</sup>، فالذات الإنسانية عند هيغل تغترب عند انفصالها عن الروح المطلق و تتجرد عن ماهيتها ككيان متعالي عن طريق ارتباطها بالعالم الاجتماعي الحسي، فهي تتنازل عن استقلالها الذاتي و تلتحق بالمجتمع.

في حين ذهب ماركس ورأى في الاغتراب " أن يفقد الانسان ذاته و يصبح غريبا أمام نفسه تحت تأثير قوى معادية، و إن كانت من صنعه كالأزمات و الحروب ففي حال الاغتراب يستنكر الانسان أعماله و يفقد شخصيته... للاغتراب في رأي ماركس صور شتى أهمها الاغتراب الاقتصادي، وفيه تسود الراس مالية و تستولي طبقة خاصة على وسائل الإنتاج جميعا، و علاجه يتم بتملك الطبقة العاملة لهذه الوسائل و بدفع الإنتاج دفعة قوية"<sup>3</sup>، كما ورد في المعجم الفلسفي لمراد وهبة السبب الذي أدى إلى أن يعتبر ماركس الاغتراب فقدان الانسان لذاته" و هذا المعنى انتهى إليه ماركس من خلال الفحص النقدي لوضع العامل في النظام الرأسمالي، فالعامل فيه مغترب عما ينتجه لان الإنتاج ليس لإشباع الحاجة الإنسانية و إنما لزيادة رأس المال، ثم هو مغترب في عملية الإنتاج حيث العمل لا يعبر عن تحكم الانسان في الأشياء و انما عن تحكم

1 - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 75.

2 - ابراهيم منكور: المعجم الفلسفي، ص 16.

3 - المرجع نفسه: ص، ص، 16، 17.

الآلات... ثم هو مغترب عن ذاته الحقيقية أي عن وجودها المتطور، أي عن الإنسانية الكامنة فيه و بذلك يتحول إلى سلعة"<sup>1</sup>، فالاغتراب الماركسي حالة من الضعف و العجز و الانهيار أمام أصحاب الملكية و رؤوس الأموال، خضوع يقوي عند الانسان المغترب الشعور بالانفصال عن المجتمع و الانسلاخ عن النسق الاجتماعي السائد، حيث يصبح لا يفكر في شيء أكثر من أن يفكر في خوفه من المستقبل، و استيائه من الواقع الاقتصادي الذي انعكس على جميع مجالات حياته ككائن وجودي سقط في فخ اللامعنى و العدم "إن مفهوم ماركس للاشتراكية هو الانعتاق من الاغتراب، عودة الانسان إلى ذاته و تحقيق ذاته"<sup>2</sup>، فالنظام الاشتراكي هو النظام الذي يحفظ كرامة الانسان و يضمن عدم الوقوع في مشكلة الاغتراب على اعتبار أنه هو الكفيل باحترام الذات البشرية من منظور ماركس .

ما نجد ميلفن سيمان<sup>3</sup> يعرف الاغتراب على أنه " الحالة النفسية للاغتراب تشمل على أبعاد فقدان القوة وفقدان المعنى والعزلة ولا معيارية والغربة عن الذات"<sup>4</sup>، فقد تطرق الى الأسباب المؤدية الى الاغتراب كحالة نفسية.

1 - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 76.

2 - ايريك فروم: مفهوم الانسان عند ماركس، ص 63.

3 - ميلفن سيمان :عالم اجتماع امريكي أراد التخلص من الغموض و الارتباك الذي أحاط بمفهوم الاغتراب من خلال فصله عن الاستعمالات المتعددة لهذا الاصطلاح و توضيح معاني هذه الاستعمالات ليتيسر استعماله في البحوث العلمية فأول استعمال عزله عن المعاني الأخرى هو عدم وجود القوة عند الفرد المغترب، أي أن الاغتراب هو شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعي الذي يتفاعل معه، ثانيا عدم وجود الهدف عند الشخص المغترب أي أنه لا يستطيع توجيه سلوكه و معتقداته و أهدافه، ثالثا عدم وجود المقاييس أي أن الفرد المغترب غالبا ما يشعر بأنه لو أراد تحقيق أهدافه فعليه عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها اجتماعيا و أخلاقيا، رابعا و أخيرا الشعور بالعزلة أي شعور المغترب بأنه غريب عن اهداف الحضارية لمجتمعه

4 - جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة،

ط2، 2007، ص 163.

و أيضا غيورغ لوكاش<sup>1</sup> " و تنفصل هذه الأشياء عن الانسان رغم أن جوهرها مرتبط بعمل الانسان فتنعكس القضية الاصلية فبدلا من أن يتحكم الانسان في الأشياء المحيطة به مثل المصانع و البنوك تتغير هذه الأشياء و تتحكم في حياة البشر، و بدلا مما كان يفعله الانسان في العصور القديمة حيث كان يحاول تعديل الطبيعة من حوله لتتنفق مع حاجاته، أصبح الانسان يحاول أن يوائم نفسه مع الأشياء المحيطة به و من ثمة أصبحت الأشياء هي التي تصوغ حياة الانسان"<sup>2</sup>، فالانسان أصبح عبدا للشركات الصناعية الكبرى و الآلات التي سخرتها الرأسمالية خدمة لتضاعف أرباحها مما يتبين لنا استناد لوكاش في تحليله للاغتراب على الفكر الماركسي.

كما نجد تيار الفكر الراهن فيه من يطلق على مفهوم الاغتراب لفظة التشيؤ وفي هذا السياق نجد مارثا ناسباوم<sup>3</sup> تطلق كلمة التشيؤ " على تلك الاشكال القصوى للعامل الأدا تي مع الأشخاص الاخرين"<sup>4</sup>، ففي القول إشارة إلى السلوك الإنساني الذي ينتهك القيم و المبادئ الأخلاقية فيما بين الذوات الإنسانية.

1 - غيورغ لوكاش: 1885م-1971م فيلسوف وكاتب ووزير مجري ماركسي أسهم بعدة أفكار منها التشيؤ والوعي الطبقي، و التاريخ برأيه ينتج عن التفاعل بين الذات و الموضوع أي عن وعي الناس بالقوانين التي تحكمهم، يرى أن البروليتاريا تمثل المبدأ السالب و العنصر المحرك في الجدلية لأنها عندما تناضل من أجل تحريرها فإنها تناضل في الوقت نفسه ضد الخضوع بشكل عام، و عندما تناضل لانقاذ نفسها فإنها تناضل أيضا من اجل انقاذ البشرية كلها من التشيؤ، من أهم مؤلفاته: التاريخ و الوعي الطبقي و تحطيم العقل.

2 - كمال بومير: من غيورغ لوكاش إلى اكسل هونت، (نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ) ص، ص، 80، 81.

3 - مارثا ناسباوم: 1947م فيلسوفة أمريكية، أستاذة في القانون و الاخلاق في جامعة شيكاغو، تتمحور أعمالها حول الفلسفة القديمة اليونانية و الرومانية، الفلسفة السياسية النسوية و الاخلاقيات، من أهم مؤلفاتها ليس للريح، لماذا الديمقراطية بحاجة للإنسانيات.

4 - المرجع نفسه: ص 85.

بالإضافة إلى هريبرت ماركيز<sup>1</sup> الذي أشار إلى حالة الاغتراب العالمي الذي قام بإقصاء الانسان من موقعه في إطار ما يعرف بالمجتمع الصناعي الذي أفرغ جميع معاني الإنسانية من محتواها "لكن يبدو أن المجتمع الصناعي المتقدم يحرم النقد من أساسه الحقيقي فالتقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة والتنسيق... و تبطل بالتالي جدوى كل احتجاج باسم الافاق التاريخية باسم تحرر الانسان"<sup>2</sup>، فالمجتمع الجديد يعلن غريته كمجتمع انساني لحظة اقتترانه بالتقنية.

كما نجد سارتر عالج قضية الاغتراب في إطار موضوع الحرية، و الذات و الاخر فهو يرى أن الاخر من يغرب الذات و يسلبها وجودها إلى درجة أنه الجحيم " و من صفات الموضوع ان لا يكون ذاتا فاذا أصبحت موضوعا لم أعد انا أي فقدت صفات الذات، و هكذا اذا أصبحت ذاتي موضوعا بالنسبة إلى نفسي كانت ذاتا و لكنها ليست ذاتي أنا، و حتى لو استطعت أن أرى نفسي بوضوح و تميز كموضوع لن يكن ذلك بالنسبة إلى ذاتي على أنها ذاتي، و من أجل ذاتي و لكن على وجود خارج ذاتي، أي بالنسبة للآخر و هو وجود يختلف كل الاختلاف عن وجودي لذاتي"<sup>3</sup>، ففلسفة سارتر اتسمت بنظرة السلبية اتجاه الاخر إلى درجة أنه سبب لاغترابها فهو طرف معادي لانا و العلاقة بينهما قائمة على أساس السلب، كون الغير يحد من درجة حرية الذات.

هذا و لم يكن لجون جاك روسو غفلة عن الموضوع "يرى روسو أن الحضارة قد سلبت الانسان ذاته و جعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية و النماذج السلوكية التي انشأها، فلم يعد ذاته و إنما أصبح ذاتا أخرى محددة بشكل يتم خارج إرادة الانسان والاغتراب بناء على ذلك يصير

1 - هريبرت ماركيز: 1898م-1979م فيلسوف الماني امريكي، كان في الستينات رمز اليسار الجديد، ناقد للمجتمع الأمريكي باعتباره النموذج الأعلى لحضارة التقنية المعاصرة، عبر عن أهم فلسفته الاجتماعية من خلال كتبه العقل والثورة، الحضارة والرغبة، الانسان ذو البعد الواحد.

2 - هريبرت ماركيز: الانسان ذو البعد الواحد: ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط3، 1988، ص 28.

3 - فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف، مصر، د ط، دت، ص، ص 38، 39.



مترادفا مع مفهوم التبعية...الحياة الاجتماعية التي يفتقد فيها الانسان التناغم العضوي...مع الطبيعة فيحدث الشقاق بينما ينبغي أن يكون عليه الانسان"<sup>1</sup>، فالإنسان أثناء القيام بالتعاقد اجتماعيا يكون قد غرب ذاته عن طريق اقباله عن مجموعة من التنازلات، و في إطار التبعية للمؤسسة الاجتماعية يكون قد وضع حدود لحياته و ممارساته التي كان قبل التعاقد غير مدعو للكف عنها.

ومن المفكرين الذين تتسم أفكارهم بالعداء للبراغماتية نجد شيلر ميد "الانسان الحديث الذي يعاني الغربة والانفصال في ظل ظروف لا إنسانية، تلك الظروف التي تضخمت بفعل الثورة الصناعية، وأصبحت تمثل تهديدا جسيما للأحوال الإنسانية...هو إنسان ممزق انفصلت لديه المتعة عن العمل والوسيلة عن الغاية والجهد عن العائد"<sup>2</sup>، فالنزعة اللإنسانية والتي هدفها بلوغ التطور الصناعي بأي طريقة تشتت هوية الانسان بين المنفعة والقيم بين الأهداف والطرق.

هذا وقد نقل لنا الفكر الماركسي واحدا من رواده حيث نجد فيورباخ يرى أن "الدين يمثل إغتراب الانسان عن جوهره الحقيقي"<sup>3</sup>، و فكرته هذه جاءت نسبة الى الظروف التي كان يعايشها و المتمثلة في سلطة رجال الدين على العقل و على الحياة الإنسانية.

بالإضافة إلى هايدغر "الوجود الإنساني المستغرق في الحشد...وجود زائف لأنه يهبط بالإنسان إلى حياة يومية مبتذلة...يصبح مجرد نسخة متكررة من كائن بلا اسم أو هوية...وفي هذا اهدار كامل لقيمة وحقيقة الانسان"<sup>4</sup>، فالاغتراب عند هايدغر هو الوجود الزائف وذلك راجع لخضوع الانسان إلى قوى ينصبها مقاما أعلى عليه.

1 - حسن حماد: الانسان المغترب عند ايريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، دط، 2005، ص، ص، 73، 74.

2 - المرجع نفسه: ص75.

3 - المرجع نفسه: ص 89.

4 - المرجع نفسه: ص 101.

كما نجد ايريك فروم " إن الانسان لا يستطيع أن يعين نفسه على أنه الحامل الفعال لقواه وثرائه، بل كشيء مفتقر معتمد على قوى خارج نفسه فيها أسقط جوهره الحي"<sup>1</sup>، فقد عالج الاغتراب من منظور تشيؤ أو تجرد الانسان من انسانيته.

هذا وقد نجد تعريفات اصطلاحية أخرى للاغتراب " اضطراب نفسي يعبر عن اغتراب الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع وهو غربة عن النفس وغربة عن العالم وغربة بين البشر "<sup>2</sup>، ففي كل حالاته هو أزمة تشتت الانسان و تحدد مصيره كذات تعيش العبثية و اللامرجية بكل معانيها. "شعور المرء بعدم الرضى وعدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحكومية والنظام السياسي برمته... شعور الفرد بأنه ليس جزء من العملية السياسية وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبار"<sup>3</sup>، وهذا اغتراب سياسي يصور لنا العلاقة العدائية الطردية بين المواطن والسلطة. " الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية وما ينتج عن ذلك من أعراض، فالفرد الذي لم تحدد هويته بعد يعتبر مغترباً لأنه يفتقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي لحياته"<sup>4</sup>، أي أن ضياع الهوية يعني الاغتراب الذي هو نتاج الفراغ الروحي الذي يعانیه الفرد وعدم تحديد الأبعاد التي يسعى إلى تحقيقها.

فكل المعاني الواردة لمفهوم الاغتراب تحمل دلالة عن تحول الانسان من ذات متفردة ومتميزة الى انسان عبثي، تختل جميع معايير النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والأخلاقية، انسان ليس له اهداف في هذا الوجود يعيش الاحتقار وفقدان المعنى، انسان متجرد من كل معاني الإنسانية

1 - حسن حماد: الانسان المغترب عند ايريك فروم، ص 275.

2 - زليخة جديدي: الاغتراب، ص 348.

3 - المرجع نفسه: ص 350.

4 - المرجع نفسه: 351.

## ج- عند ريجيس دوبريه:

لم يأتي تطرق دوبريه لفكرة الاغتراب من فراغ بل عالج الموضوع في إطار التأسف عن الواقع العالمي المعاش، والاستيلاء الذي تسببت في ظهوره عوامل غريزية لا تكثر لمعنى الإنسانية فاقدة لروح السلام و المساواة، فمس الانحراف كل صغيرة و كبيرة، هاجرت الذوات البشرية ذواتها و في ظل هذه الفوضى سعى ريجيس دوبريه إلى فهم هذه الغربة العالمية.

يستعمل دوبريه مصطلح مهجور للدلالة عن المغترب بهدف التعبير عن الفراق بين الواقع و ما هو نصب العيان و بينما ينبغي أن يكون عليه الأمر "مهجور ليس المقصود به مكانا في الزمن بل في عملية وضع التحديدات في طبقات متراكبة و ليس المقصود به ما تجاوزه الزمن بل المقصود الجوهري، و ليس المقصود به الممات بل العميق و ليس المقصود به البالي بل المُبعد"<sup>1</sup>، فالاغتراب عنده عملية مستهدفة من قبل مركزية لها سلطة و القدرة على التلاعب بحقيقة و أوضاع الانسان، و في هذا الصدد نجد دوبريه يقول " بمجرد ان يكون هناك أب فهناك خداع للابن و سلب و ارتهان"<sup>2</sup>، و قيام السلطة الأبوية يفقد الهوية فعاليتها في تحديد المصير و التوازن النفسي و الفكري و الاجتماعي، يفقدها إمكانية تحقيق استقلاليتها و اثبات وجودها تصبح ليس هي إنما شيء تابع لتنظيم أو نسق معين تحيا و تعيش وفق القواعد و النواميس التي تضعها الأنظمة السلطوية و تمليها عليها، وجود زائف يحل محل الوجود الحقيقي "فأن يتخلى المرء عن ذاته لهُو جهد عبثي حقا"<sup>3</sup>، فالاغتراب عند دوبريه ضرب من العبثية التي يكون فيها مستقبل الانسان و مشاريعه الوجودية التي تعرف به ككائن متفرد و مميز مبنية على أساس عشوائي فوضوي، غير خاضع لمقاييس الانسان السوي.

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 476.

2 - ريجيس دوبريه: مذكرات بورجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران، ترجمة سهيل ادريس، دار الآداب بيروت، ط1، 1977، ص 100.

3 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص12.

كما يصف المغترب بالتائه الذي لا يجد منفذا للخلاص، تيه أرهق الذات الإنسانية من كثرة المناجاة والاستغاثة إلا أنه لا وجود لمستغيث "إن حياتك قد لاقت تشعبات كجميع الحيوانات، ولكنها تاهت فيها كنت في كل مرة تتهرب من أزمة التحديد"<sup>1</sup>، فأبشع صور أزمة الهوية الا يعرف الانسان من هو وإلى أي قطيع ينتمي، ليس له أي موقف في أي قضية لا يعلم بالعالم إلى أين سيتجه.

---

1 - ريجيس دوبريه: مذكرات بوجوازي صغير بين نارين وأربع جدران، ص 29.

المبحث الثاني: الفجوة بين الانسان المعاصر وذاته

يحظى الانسان المعاصر بتلاشي المعايير وافتقار القيم فأصبح ينعت بالإنسان المتمرد غير المنضبط النفعي، انسان اقتصادي جسماني متشيع، إنسان رجع إلى بربريته بعد ما كانت الانوار قد كرمت وجوده، والسؤال المطروح هو لماذا أصبحت هوية الانسان هوية صماء خالية من المعنى؟ وهل سيعود هذا الانسان إلى نفسه ام سيبقى منفصلا عنها وتائها في غربة قامت بهضم جميع مكتسباته؟

يرى دوبريه أن الانسان المعاصر إنسان تتوفر فيه جميع المتناقضات، يؤمن بشيء لكنه ملزم بفعل النقيض و بطريقة آلية، انسان من الضروري الخوف إبان الحياة التي يعيشها" فنحن حين لا يعود باستطاعتنا أن نعرف من نحن نصبح على خلاف مع الجميع - و أولا مع انفسنا قبل كل شيء - بالطريقة ذاتها عند كل قفزة نحو المستقبل، ترتقي درجة الرغبة بإيجاد الجدة أو ما نظنه جدتنا، خطوتان إلى الامام و خطة إلى الخلف، ذهاب و إياب، غريب عجيب، حيث لا يوجد دائما سبب يبعث على الضحك... عندما ترى في الشوينغ مول... في الخليج، اشباحا تضع البراقع و تشري آخر صيحات الهواتف النقالة"<sup>1</sup>، فالإنسان في صراع بين أن يتمسك بماضيه و أصله أو يواكب الاخر المختلف عنه و الذي لا يمته بصلة بقدر ما هو ليس هو، هل يسلك الاتجاه المحافظ الرجعي التقليدي أم يسلك مسار التغيير الذي لا حدود و لا نقاط وقوف يتوقف عندها، هل نسعى إلى معرفة ذاتنا أم نكتفي بمجرد تقديم إشارات غير ضابطة للتعريف بشخصنا بطريقة أو بأخرى نحن في دوامة لا بداية و لا نهاية فيها للخلافات، عولمة غربت الشعوب و سلخت خصوصيتها، اقتصاد فرض نفسه حتى على اللذين يبدون غرباء عنه" و أما العولمة فإنها تهدر الانتماء... إنها تحاول سلخهم عن هويتهم و انتمائاتهم و اتباعهم باقتصاد السوق فوق الوطني، أي في الحقيقة الاقتصاد الذي يلغي الوطن و يحل محله رقم الحساب المصرفي و بطاقة الائتمان

1 - ريجيس دوبريه في مديح الحدود، ص، ص 47، 48.

كانتباء و هوية وحيدين... كما أن تهدر الوعي من خلال آليات الاستيعاب الخفي"<sup>1</sup>، و في هذا السياق الذي يصور لنا فظاعة العولمة في جعل هوية الشعوب مبعثرة يقول دوبريه "فهذا يعني أن نغرب أنفسنا و نضعها في بين بينين محتقر"<sup>2</sup>، و في هذا اعلام عن عدم الاعتراف بإنسانية الانسان و نكران للاختلافات أين يغدو العالم جحيم من الاحتقار و فقدان السيطرة " ذلك أن الانسان المستلب في وطنه و مجاله الحيوي لا يمكن أن يعطي، و بالتالي أن يبني، يقنع في أحسن الأحوال بالانفراج السلبي، في حالة من الغربة كما يتحدد الوجود إلى مستوى الرضى بمكسب مادي يعطي الحاجات الأساسية، و قد يستجيب الانسان لهدر مواطنيته و انتمائه في أن يتصعلك منتكرا لشرعية السلطان و ناسه وصولا إلى التنكر للوطن ذاته في نوع من الهدر المضاد"<sup>3</sup>، فالاغتراب وفق هذا المنظور يؤدي إلى انسحاب الفرد عن الثقافة السائدة في مجتمعه يرى الحياة دون معنى، يشعر أنه غير مقرر لقراراته، فيرفض ما يحيط به مستعملا التمرد و العنف كطريقة للتعبير عن تشاؤمه من الواقع.

كما تعد التكنولوجيا العامل الحاسم في ضياع جوهر الانسان و خضوعه لعبودية الرقمنة كوسائل قمع حديثة، قائمة على المراقبة و الاعلام و التخطيط" إن هامش حريتنا يضيق مع تزايد التدخل الوسائطي و تزايد الشبكات و تعقد المسارات... و اليوم غدا واقعا رؤية وسائطية للعالم أي جهاز يتحكم فينا"<sup>4</sup>، وهذا ما تدمر منه هيربرت ماركيز " إن هذا التصور مؤلم لتجربته عالم متناحر في بنيته بالذات عالم تقض مضجعه الحاجة و السلبية، مهدد على الدوام بالتدمير... عالم محطم (تمزق انطولوجي)"<sup>5</sup>، من ناحية أخرى يقر دوبريه أن المستجدات الراهنة لم يشهد للتاريخ و

1 - مصطفى حجازي: الانسان المهذور، (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص33.

2 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 57.

3 - المرجع السابق: ص32.

4 - ريجيس دوبريه: حياة الصورة وموتها، ص 292.

5 - هيربرت ماركيز: الانسان ذو البعد الواحد، ص، ص 165، 166.

أن مر بمثلها" هذا هو التفاوت الكبير مفارقة قطيعة هائلة إذ نادرا ما شاهدنا في تاريخ السذاجة الغربية الطويل فجوة كهذه بين طرق تفكيرنا و حقيقة الأمور، بين ما نظنه امرا مرغوبا فيه و بين ما هو عليه في الواقع"<sup>1</sup>، حيث انشغل فيض كبير من الفلاسفة المعاصرين في تقديم تفسيرات لما آل اليه العالم من كوارث و أزمات، و من بينهم أدورنو<sup>2</sup> كمثال على المدرسة الفرנקوفونية معتمدا على الرواية كأسلوب أراد به أن يمنهج أفكاره لتجاوز الازمة "مادام القاسم المشترك عنده بين العناصر الجماعية يتجلى في الرواية التي عدها وسيلة حية في النفي و السلب، نفي الواقع الميثولوجي ونفي التشيؤ و الاستيلا ب و مقارنة العالم المستبد التحكمي (وهو ما يسمى بجماليات الرفض) لا على وفق جدل سلبي ينفي الكلي فيه الفردي، كما يلغي الذات الشمولي و ينتصر العبث فيه على المعنى، و التشظي على التماسك، و اللاتطابق على الهوية و الاختلاف على الوحدة"<sup>3</sup>، فالفلسفة المعاصرة إن اختلفت في طرق تعبيرها إلا أنها تشترك في الهدف الأساسي، و هو القضاء على العدمية و المطابقة بين الفكر و الواقع، و القضاء على مظاهر الاستيلا ب و تحول الانسان إلى مجرد مادة و إعادة الانسجام بالهوية الإنسانية، حيث صاغ دوبريه قولا فيه دلالة على قمة استيائه و الشعور بالمشكلة "بيوت لا فرحة ولا سعادة فيها...العالم الشركة (أي الرأسمالية العالمي)، الذي ما أن حركه النفس النيوليبرالي حتى انزلق من صورة الأجنبي (أو الغريب) الواجب استيعابه إلى صورة الهجرة (المهاجر) الذي يجب طرده على خارج الحدود"<sup>4</sup>، فروح الأيديولوجيا الجديدة بعثت الكآبة و الحزن في جميع الارحاء مهدت لخراب و حققت أكثر مما خطت له،

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود: ص 17.

2 - أدورنو: فيلسوف الماني أحد ابرز اعضاء مدرسة فرنكفورت الاجتماعية، من اهم المعتمدين على المنهج النقدي الذي جوهره التحليل الفرويدي للمجتمع الرأسمالي تتمحور معظم أعماله حول المشاكل الثقافية و الاجتماعية ودور الفرد في المجتمع.

3 - علي حسين الجابري: الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية (دراسة لكانط و هيغل و نيتشة و كارل بوبر و رجال مدرسة فرنكفورت الغربية المعاصرة في ظل العولمة)، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 244.

4 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود: ص44.

فالإنسان ارتقى من مستوى المعارض و الطرف النقيض للوضع إلى خاضع للقدر المحتوم، أكثر من ذلك غريب عن نفسه.

و نجد الفكرة نفسها واردة عند هابرماس " كما يقول هابرماس البشرية ليست أكثر سعادة من قبل، و العلم المعاصر المقترن بالتكنولوجيا قد يكون ساعد الانسان بالسيطرة على الطبيعة و لكنه في الوقت نفسه ساعد الانسان على السيطرة على أخيه الانسان، و كان له دور بارز في قهر الناس لبعضهم بعضا و في نهب البعض لثروات البعض الاخر"<sup>1</sup>، و بالرجوع إلى دوبريه فهو يرشح الاغتراب المسبب الأول في ظهور الأطراف المتطرفة و المتعصبة، فهو بذرة ثمارها الوقوع في الصراع و نشر الفتن كفتائل للحروب الكبرى" إذ إن فيض المهاجرين يوظف رهاب كراهية الأجنبي لدى البلدان الغنية التي تستقبلهم و في المدن الكبرى المكتظة يحفر منفيو البؤس خنادقهم الخاصة"<sup>2</sup>، و كمثال عن ذلك المسلمون المقيمون في البلدان الغربية و احساسهم بالاضطهاد، و الذي يولد اصطدامات عنيفة لا ترحم عقباها، و الإرهاب أحسن مثال كنموذج لتمرد الهويات المغترية.

حيث نجد جاك دريدا<sup>3</sup> من بين المتطرقين لهذه الفكرة " يتحدث دريدا...عن الإرهاب بصفته حالة نفسية"<sup>4</sup>، فالإنسان تسيره عوامل نفسية تجعله يفجر طاقاته السلبية في شكل عنف.

1 - رشيد الحاج صالح: الانسان في عصر ما بعد الحداثة، دائرة الثقافة والإعلان، دط، دت، ص 9.

2 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود: ص، 62.

3 - جاك دريدا: 1930م-2004م فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر صاحب نظرية التفكيك، تعتبر فلسفته حصيلة تفاعلات فكرية صاغها للتعبير عن حاجة الانسان في مرحلة ما بعد الحداثة، من المصطلحات المهمة التي قدمها مصطلح الاختلاف، انشغل بالخطاب والصورة والعلامة، و الهوية، و الجسد و الكتابة، كان يحارب المنهجية عبر الخروج من المناهج، و يرى ان الفلسفة مجال معرفي لم يمت.

4 - جيوفانا يورادوري: الفلسفة في زمن الإرهاب، (حوارات مع يورغن هابرماس و جاك دريدا)، ترجمة خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص 217.



و يستبعد دوبريه الانسان عينه كمسؤول عن إحداث الهوية بينه و بين ذاته فغريته هناك من يتسبب في احداثها" لو كان المرء يعرف دفعة واحدة كيف يسمى، لما كان يضيع وقته باعتبار نفسه شخصا آخر"<sup>1</sup>، فهو نموذج للفرد الذي تمت خيانتة بطريقة ذكية، حيث تمت برمجة و تعيين موقع له يكون فيه هذا الانسان المعاصر في وضعية الذي يكذب على نفسه و يلهمها بخيالات غير واقعية و عند الاصطدام بالواقع يكون قد فات الأوان و فقد شخصه " يرجع المرء دائما إلى النموذج يكبر في مكان آخر خارج ذاته فهو ليس أبدا نفسه، و أن يترك الساحة لواقع ما هو، و هو واقع حزين و أن ينطوي بنظام على شخصه المادي الوضع"<sup>2</sup>، فالمرء هنا فاقد لحريته مسلوب الإرادة مستسلم لواقع مجاله العام القهار، مرء منحط القيمة.

ولطالما نادى روجيه غارودي<sup>3</sup> في كتابه حوار الحضارات بضرورة تقادي هذا المرض العالمي مطالباً بإنماء مفاهيم الحب و التسامح، و تقبل الآخر و بناء صرح جديد لا مكان فيه للاغتراب "علنا نستطيع أن نتعلم من جديد على هذا النحو، حرية جديدة حرية لا تتحقق إلا مع الآخرين في الحب لا في مجرد المطالبة الفردية حرية أساسها تفضيل القصيدة و الابداع على مجرد المشروع التقني و المفهوم المجرد"<sup>4</sup>، فهو يدعو إلى إعادة بناء المظاهر التي عبرت عن الانسانية المتسامحة و الانتباه للعلم الذي جرد الانسان و صغر من شأنه بحكم من مركزيته "و ينطبق الامر كذلك على الشخص ما بعد الحداثي الذي يفقد نقاط علامه حين يندمج بزمنه فيحاول استعادة طاقته و حيويته من خلال التقدم في الزمن حيث تكون الذاكرة مثل افتداء و فدية لمنفى قسري بشكل أو بآخر منفى يرمي في المدائن الكبرى هذه القنبلة البشرية أي البشري التائه ذا

1 - ريجيس دوبريه: مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربع جدران، ص 30.

2 - المصدر نفسه: ص30.

3 - روجيه غارودي: 1913م-2012م فيلسوف فرنسي اعتنق الإسلام سنة 1982م من الملتزمين بقيم العدالة الاجتماعية التي امن بها في الحزب الشيوعي، ووجد ان الإسلام ينسجم مع ذلك بقي على عدائه للامبريالية و الرأسمالية و بالذات أمريكا، من دعاة شمولية الإسلام، و هذا ما أورده في كتابه الإسلام دين المستقبل، من المعادين للحركة الصهيونية.

4 - روجيه غارودي: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوى، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط4، 1999، ص 216.

الذاكرة الهائجة"<sup>1</sup>، فالمغترب عند دوبريه خطر متنقل في أرجاء الأرض هويته كالصورة التلفزيونية المشوشة منعدم الوضوح، يتوقع منه أية ردة فعل فعصر ما بعد الحداثة مبني على الاحتمال و العشوائية، و قد أعطى دوبريه مثال عن المغترب الذي فعل فيه المد و الجزر فعلته الشنيعة، المتمثلة في التلاعب بالأناس الطيبين الذين لا نشيد لهم سوى تحقيق الأمن و الاستقرار " فكل فلاح مغترب يكون ممزقا بين أمرين بين فكرة الانعزال عن عالم الفرص التي تسد أوده (فرص العمل) إن انغلق على نفسه ضمن عالمه الإثني الأصلي، و بين فكرة أن يفقد تقديره لذاته إن اندمج بعالم التقنيات و يكون ممزقا بين بطاقة هويته(العائلية، الريفية، القبلية) و بين احتمال بطاقة اعتماد"<sup>2</sup>، فمثل هؤلاء يتخذون من الأصالة و الكرامة رأس للمال تم استبداله بالمصالح و التقنية اللذان يتخذان من ذاتهما قيمة عليا، و الهوية تتجاوز الاغتراب كعلة قاتلة و مميتة عند دوبريه في حالة واحدة، و هي ساعة بلوغ الانسان التوازن بين ما يعيشه و بين ذاته بين طموحاته و بين ما يحققه، بين انتمائه و الوسط الذي يوجد فيه، فهذا كله الحقيقة و ما عداه يعد زيفا و أوهام "إنما يسمى حقيقيا بالنسبة لفرد هو هذه الحقبة من حياته المتطابقة مع الفكرة التي كونها عن الحياة حين يحس حياته ترتفع و تتساوى ذات لحظة مع جوهره الحقيقي"<sup>3</sup>.

وهذا ما ذهب إليه جون فرنسوا ليوتار<sup>4</sup> في اعتبار أن الهوية يجب أن تبني نفسها و تسخر و قاية مضادة توظفها في الدفاع عن ذاتها و تحصنها ضد الاغتراب " إن الذات هي التي تصنع ذاتها بذاتها، إنها مشروع يخلق نفسه بنفسه كما يعتقد سارتر، إنها تخلق قوانينها و تتلقاها من

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 46.

2 - المصدر نفسه: ص 47.

3 - ريجيس دوبريه: مذكرة برجوازي صغير، ص 165.

4 جون فرنسوا ليوتار: 1924م-1998م فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي أول من ادخل مصطلح ما بعد الحداثة الى الفلسفة والعلوم الاجتماعية، اسهامه الرئيسي في الفلسفة هو نقده للحداثة و كتابته عن سقوط الأيديولوجيات الكبرى التي يسميها السرديات الكبرى و من خلالها ينتقد فكرة التنوير نفسه، لان كل هذه الأيديولوجيات من نتاج التنوير وكلها هدف واحد هو التحرر و تحقيق سعادة الانسان، لكن ليوتار يرى انها سقطت و فشلت فشلا ذريعا، و يدعو للخروج من هذه الحداثة التي أدت الى الهولوكوست و الهيروشيما و النكازاكي.

الخارج و هي حينما تحترم هذه القوانين لا تحترم في الأخير إلا ذاتها و هو ما عبر عنه كانط بالاستقلالية<sup>1</sup>، و ريجيس دوبريه إن كان يهدف إلى شيء من خلال فلسفة الاغتراب عنده فهو يهدف إلى إعادة البناء الأخلاقي للعالم و ارجاع الاستقرار و الأمن و التخلص من الفجوة التي أصبحت هاجسا و كابوسا لا يفارق الانسان طيلة اوقاته.

---

1 - جون فرنسوا ليوتار: في معنى ما بعد الحداثة، (نصوص في الفلسفة والفن)، مراجعة عبد العلي معزوز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2016، ص 10.

## الفصل الثالث:

دور المرجعيات في  
تجاوز أزمة الهوية

تؤكد المعطيات السائدة أننا نعيش في عصر لا يعتمد في بناء ذهنيته على الفضائل الروحية، عالم يسعى وراء السعادة واللذة المادية مستغني عن كل ما هو ديني، كما تحول الانسان الى آخر عبثي انتهك باسم الحرية حقوق الشعوب متجاوزا كل الحدود، والتساؤل المطروح هو ما دور المرجعيات في تجاوز أزمة الهوية كبديل عن العدمية التي أضحت تهدد الواقع الإنساني؟

### المبحث الأول: المرجعية الدينية

تشغل مسألة الدين حيزا كبيرا في دائرة أعمال ريجيس دوبريه فهو حريص الاهتمام بالتفكير في هذه القضية على اعتبار ان الدين هو المحرك المعنوي لقيام المجتمع، فالدين حسبه هو ذلك الجانب المجرد الروحاني الذي له القدرة على التحكم في واقع الأمم والكيانات، والسؤال المطروح في هذا المقام هو ما الذي يجعل من نوات متعددة هوية وانتماء موحد باستطاعته ان يثبت كيانه؟

يرى دوبريه أن الدين قضية جوهرية ومصيرية بالنسبة للإنسان فهو يضع الانا في خضم النحن، وبهذا فهو يجعل الفرد محتوى في المجتمع يصنع التفاعل الإيجابي ويحقق التوازن وهدفه في ذلك تحقيق الشخصية المعنوية "إن حد الغياب الهارب هذا الذي من شأنه أن يؤمن التماسك و الاستمرار في آن واحد هو الذي يعبر عنه بالمقدس"<sup>1</sup>، فالدين سيد و أب سرمدي يزاول الانسان في كل مراحل حياته، فعلى الرغم من أنه يميل إلى الماديات إلا أنه يتجه لا شعوريا إلى اسقاط فراغه و مكبوتاته فيما هو متعالي، و للدين دور كبير في أن تحافظ الهوية على هويتها فبه يصبح لها معنى في الحياة، فهي في هذه الحالة متجهة نحو ما هو معلوم و ليست متجهة نحو الفراغ الروحي و العدم الرمزي، كما ان الدين هو السند الرئيسي الذي تعود إليه الذات كي يحدد لها الخطى التي تسير عليها للحفاظ على كيانه "إذ إن التقديس يحيل إلى الحياة و يستعين بها فهو ارتكاز

1 - حوار مع ريجيس دوبريه: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، رئيس التحرير عبد الجبار الرفاعي، ع 41-42، 2014، ص

غريزة البقاء في مواجهة خطر الزوال"<sup>1</sup>، و إنها لمغالطة كبيرة و كبرياء إنسانية ان يدعي الانسان المركزية في هذا العالم و الحرية المطلقة في الوجود، فهو بطريقة أو بأخرى تابع لمنظومة معينة حيث لا يمكن للذات ان تعرف ذاتها إلا من خلال الاعتراف بالخضوع و التبعية لما هو ديني " فإن الانسان لا يمكن أن يكون ذاته فاعلا في التاريخ إلا بقدر ما يخضع لوطة جماعة تدين لصنم معين... و اذ يستحيل قيام عمل ناجع من غير أقتنوم رمزي"<sup>2</sup>، فالواقع يؤكد ان الانسان لا يتمتع بالكمال، و إن عدم الكمال يكشف الستار على حاجة الذات البشرية إلى الالتصاق بالدين، كمكمل للنقص الإنساني بقي من السقوط في العدمية، كما أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر المعاملات و التبادلات المصلحية، فكل شيء قابل للتغيير بما في ذلك الدين الذي أصبح يقولونه ما لا يقوله بهدف تحقيق المآرب، إلا أنه يبقى المعيار الذي من خلاله تعرف الشعوب و تتمايز، و على الرغم من تغير الأوضاع و تحول الموازين فهو يحافظ على قدر من الهبة و التقديس، و يصنع بذلك حدود لا يمكن تعديها و يبقى بذلك المعطى الوحيد الغير قابل للرسملة " ما الفائدة اليوم من التقديس حيث كل شيء بما في ذلك الدين تنتزع القدسية عنه ثمة فوائد منها وضع مخزون الذكريات بمنأى الحفاظ على استثنائية المكان و من خلاله الحفاظ على تفرد شعب و تميزه أي تعبئة حيز غير قابل للتبادل في مجتمع يعتمد التبادل، فهو شكل أزلي سرمدى في زمن سريع التبخر و هو ما لا ثمن له في مجتمع كل ما فيه قابل للتسليع الكامل"<sup>3</sup>، فالدين لا تتأزم به الوضعية إلى درجة أنه يصبح سلعة للتداول يحكمها مبدأ الاخذ و العطاء لارتباطه بالقناعة الإنسانية و التي تفرق الانسان عن باقي الموجودات، و بالنظر إلى ذلك فالدين من القضايا التي لها علاقة بتشكل الهوية الثقافية، كما له تأثير على التفكير الأيديولوجي، كما يقدم الإجابة عن العديد من القضايا الوجودية، إضافة إلى أنه مجال لوجود حوار بين الذات و الاخر و كل هذه النقاط شديدة

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 25.

2 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص، ص، 361، 362.

3 - ريجيس دوبريه: المصدر السابق، ص 26.

الارتباط و بالأحرى لصيقة بمسألة الهوية، فدوبريه ينظر من الدين و الهوية موضوعات تمس الانسان حقيقة " و حين نكون محاطين نكون مكرسين و لأجل ذلك كانت الدائرة هي التي تصنع التكريس (وسيلة مقدسة)... أي استعلاء الزمرة المحتبسة على ذاتها، و تقاس على مستوى هذا التفتح الداخلي بقديسية الوسط المحيط، و بقدر ما يكون على الزمرة أن تتجاوز نفسها يزداد تطلعها إلى رص الصفوف، مع العلم جيدا بأنه إذا كان المربع يتكون عند أقدام المذابح فإن التجمع هو الذي يصنع المذبح"<sup>1</sup>، و الإعلان عن الانتماء الديني هو تسخير الوجود لخدمة ذلك الانتماء، و الدين هو الدائرة التي تحيا فيها الهوية، و بقدر ما تكون الهوية في وفاق مع الدائرة التي تنتمي إليها فهي تسعى إلى الحفاظ و تقوية موقف ذلك الانتماء، و الشعور بالانتماء يزيد الدين قدسية و وفق هذا المنظور تتشكل الهوية التي تنتمي و تقوي الشعور بالوجود و الانتماء إلى نفس الكيان و المصير المشترك، مما يحافظ هذا الشعور على استمراريتها و بقائها فالدين عند دوبريه من مكونات الهوية لا يمكن الاستغناء عنه و هو بذلك ضروري ففحوى الكلام هو ان هوية الانسان تجد ذاتها و تعرف نمائها عن طريق ارتباطها بالكيان الديني و في هذا الصدد نجد الباحث الأمريكي مايكل بييري يعبر عن الدور الذي يلعبه الدين في الاعلاء من قيمة الانسان " و بناء على ذلك علينا أن نخلص إلى أن الحكومة تستطيع في ظل قاعدة عدم التأسيس، و أن المشرعين و الاخرين يستطيعون كقضية أخلاق سياسية الاعتماد على الطرح الديني الذي مفاده أن كل انسان مقدس"<sup>2</sup>، ففي ضوء الدين يمكن النظر إلى الانسان على أنه مشروع ذا قيمة و أهمية، له حقوق تضمن كرامته في الوجود أي أن الاعتماد على الدين هو جمع بين الاخلاق و السياسة للحفاظ على هوية الفرد في المجال العام.

1 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 457.

2 - مايكل بييري: الدين في السياسة (جوانب دستورية و اخلاقية)، ترجمة عربي ميخاري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،

ط1، 2014، ص 133.

في حين نجد من يتحفظ في الرأي القائل بأن الدين هو الأساس في ضمان الاستمرارية للهوية الثقافية، و هذا ما ذهب إليه أوليفيه روا<sup>1</sup> " في الواقع لا يطرح الدين بصفته ديناً إلا عندما ينفصل انفصالا بينا عن الثقافة، و إن كان ذلك في توتر مؤقت و هش و مجرد إجمالاً، و نتيجة لذلك لا يسري مفهوم الدين في أنظمة يدرك فيها ما يقرب بالدين في مكان آخر (تقوى، مقدس) على أنه ثقافي كلياً (دين مدني)"<sup>2</sup>، فالدين عندما يكون خادماً لثقافة معينة فهو إعلان لظهور الطوائف و الأفكار الإيمانية التعصبية و التي تساعد على تمرد الهويات فالمسلم على سبيل المثال في بلاد غير المسلمين أصبح يثير الحساسية في تلك المجتمعات أين يشعر بفقدان هويته الإسلامية، و هذا ما أوقع العالم في صدام إلا أن مفكرنا لم يغفل عن هذه الفكرة فالتعصب الديني و مستجدات العولمة و الإقرار بالعلمانية العمياء أدخل العالم في متاهات و فوضى كأهم سمة من سمات المرحلة التاريخية المعاصرة و الراهنة " علينا أن نميز بين المدى القصير و المدى البعيد بالنسبة للأحداث الراهنة، فإن قضية المآذن تمثل ردة فعل هستيرية عنصرية مسيسة لا تنذر بخير"<sup>3</sup>، فالدين من هذا المنطلق أصبح خادماً للسياسة والأيدولوجيات التي مفادها ادخال الحضارة في صراع و صدام، و هذه استراتيجية غربية، من أجل نشر ثقافتها وفق المعيار الغربي أي اختزال الاختلاف و طمسه، في حين الدين تراث حي من المفترض قراءته قراءة صحيحة تتسجم مع المبادئ و الطبيعة التي يتصف بها، كما كان أوليفيه روا قد بين في موضع آخر توافقه مع دوبريه في اعتبار أن الدين هو الأساس لقوام كل الثقافات و الحفاظ على الهويات "إن الدين الذي يثبت انه دين حقيقي هو الذي يطرح

1 - أوليفيه روا: 1949م عالم سياسة ومفكر فرنسي، يعد من أبرز المختصين في شأن الحركات الإسلامية والسلفية، سواء في بلده فرنسا او في البلدان الإسلامية، يهتم بثنائية العولمة والأصولية، يعتبر أن نظرية صدام أو حوار الحضارات لا تتيج فهم هذه الحركات المزعزعة التي تخلط الخرائط والأقاليم والهويات و تحطم الروابط التقليدية القائمة بين الدين و الثقافة.

2 - أوليفيه روا: الجهل المقدس، (زمن دين بلا ثقافة)، ترجمة صالح الأشمر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 57.

3 - حوار مع ريجيس دوبريه: ديانة رخوة واسلام متصلب، ترجمة مختار الخلفاوي، [www.maaber.rog](http://www.maaber.rog)، تاريخ الاطلاع 2017/03/29، 12:45.



بوضوح و في لحظة معينة الثقافة بوصفها غيرية"<sup>1</sup>، فالدين الحقيقي يحترم الاختلاف و التنوع الثقافي، لا يقوم بإقصاء و اختزال الآخر أو الغير.

و يبقى وجود الدين عند دوبريه داخل كل جماعة وجودا حتميا معتمدا في تفسيره على ذلك على مفهوم اللامتلاء و اللإكتمال، فالإنسان ثنائية من الجسد و الروح، و الاعتماد على الجانب المادي فقط غير كافي لتحقيق التوازن و الاستواء لهوية الانسان المعاصر "بهذا المعنى تحتاج الجماعة السياسية إلى الديانة الطبيعية قصد التغلب على اللإكتمال، و سد أبواب النقضان ولا يمكن التعامل مع الديني هنا كنسق من المعتقدات و انما يتم أخذه كمعطى لتطريف المقدس الاجتماعي، هذه الطبيعة الدينية للجماعي تفرض على كل المجتمعات خصوصياتها"<sup>2</sup>، فالإنسان كما عرفه أرسطو لا يمكن أن يوجد خارج التجمع السياسي و الدين عنصر أساسي في تركيبه هذا الانسان السياسي، و الذي يمكنه من الانخراط في الجماعة و بهذا يكون سبيل لنشر الاستقرار و تجاوز الفراغ و الوصول إلى الهوية

1 - أوليفيه روا: الجهل المقدس، ص 58.

2 - زهير الخويلدي: اللاوعي الديني للجماعات السياسية عند ريجيس دوبريه الحوار المتمدن، ع4951، www.ahewar.org، تاريخ الاطلاع، 2017/03/29، 14:00.

المبحث الثاني: مرجعية الحدود السياسية

يرى ريجيس دوبريه أن للحدود السياسية أهمية كبيرة في الحفاظ على أهمية الدول و ثقافتها و حماية ثرواتها من الاستغلال الخارجي، و للحفاظ على سيادتها و تحقيق السلم و الأمن، إلا أن التقدم التكنولوجي المصاحب لزحف العولمة أزال كل الحدود و الفوارق و سمح بحرية انتقال الثقافات ما أدى إلى ضياع هوية الأفراد مما يتطلب منا إثارة التساؤل التالي كيف تساهم الحدود السياسية في الحفاظ على الهوية؟ و بصياغة أخرى هل يمكن إقامة حدود في زمن أصبحت اللاحدود معيار لكل شيء؟.

قبل أن تكون الحدود السياسية خطوط وهمية من صنع البشر يتم رسمها لتحديد الأراضي و المجال الجغرافي الذي تمارس فيه الدولة سيادتها، فهي قضية لها علاقة بالأخلاق، فالحدود تقوم بالأساس على وجود خطوط حمراء لا يجب تجاوزها بل يجب احترامها و الوقوف عندها، فنهاية حد ما هي بداية لحد آخر، و بهذا فهي تحمل مدلول أخلاقي قبل أن تكون قضية سياسية " الخارطة هي انعكاس للذهن قبل ان تكون صورة للأرض... فإن الحدود هي قبل كل شيء مسألة فكرية و أخلاقية"<sup>1</sup>، و في مبدأ احترام الحدود كل طرف يحترم الطرف الاخر و يعترف بوجوده كطرف مقابل يشاركه الحياة و يقاسمه إياها، و بذلك فوجودها ضروري لا يمكن لأي كيان مستبد تجاهلها.

كما ذهب دوبريه و اتخذ مواقف سلبية اتجاه النظريات القائلة بنهاية العالم، و التي في غالبيتها تقوم على أساس مبدأ الغاء الحدود فهو يحسس بخطورة الوضع ويدعو سكان العالم إلى المشاركة في إعادة بناء الحدود لتفادي وقوع الكارثة، التي كانت و مازالت ملامحها واضحة و جلية أمام أعين البشرية جمعاء " الآن هو الوقت المناسب... ووقت إقامة معالم الحدود و إعادة طلاء الخطوط

---

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص13.

الصفراء و إلا فإننا لم تكن بعيدين من نهاية العالم"<sup>1</sup>، فدوبريه ينظر إلى الحضارة التي نعيش فيها كما لو أنها حضارة خوف الانسان، و الذي أضحي محكوما عليه فيها بهاجس و رهاب مرعبين، حضارة تحكمها أهواء و عقلية براغماتية يوتوبية مختلة أخلاقيا، و هذا تشكيك و خوف على مستقبل الإنسانية" الطوباويات هي جوهرها لا مكانيات فإذا غاب المكان غاب المستقبل...و إذا غابت الجيران غابت الجدران"<sup>2</sup>، فتصور عالم من دون حواجز فكرة من صنع خيال مضطرب نفسيا و غير متحققة واقعا، إلا أنها تحققت وفق ايدولوجيات عالمية رأسمالية، مارست الاستبداد على حدود الدول، مما أدى إلى تأزم الأوضاع إلى درجة أن النتائج انتقلت إلى المستقبل، و هذه لمعطيات لا تنذر بالخير و ضربة صاعقة للهوية، فالغاء الحدود أسلوب تنتهجه العولمة كاستراتيجية توقع العالم في فخ العدمية و إخراجها من هذا الفخ ممزق الهوية و فاقد للكيان" ففي خطاب النهايات نلاحظ محاولة ماهرة لتأسيس نمط آخر من البدايات و في مشاريع هدم الأنساق تثوي رغبة جامعة في الإنباء و في دعوة تفتيت المركز يتبدى طموح كاسح إلى تمركز مختلف ثمة إذا ما يدعون إلى إعلان نهاية النهايات كي نؤسس بداية البدايات فخطاب النهايات...دعوى مبطنة لخطاب البدايات المشوهة"<sup>3</sup>، فالعولمة عن طريق تجاوزها للحدود كانت قد نجحت في خدعتها و التاريخ سوف يغلق أبوابه على هذا النموذج حيث تلقى البشرية حتفها إن لم تحدث صحوة عالمية و وعي عالمي بالكارثة.

هذا و قد ذهب آلان تورين إلى نفس المذهب الذي ذهب إليه دوبريه حول واقع الانسان الذي أصبح يعيش في عالم من دون حدود" إن الفاعل الاجتماعي هو انسان يتخبط في عالم لا تضيئه القيم و لا القواعد و لا اشكال التنظيم، هو انسان يتبادل علامات مشحونة بالمعاني الخفية و

1 - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 60.

2 - ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 441.

3 - إدريس هاني: المفارقة والمعانقة (رؤية نقدية في مسار العولمة وحوار الحضارات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

ط1، 2001، ص 9.

الأكاذيب و الفخاخ مع فاعلين الاخرين يتخبطون في نفس الضباب عالم يتصرف فيه كل فرد دون أن يؤمن بأي شيء، اللهم إلا الرغبة في أن ينجوا بنفسه من عالم معاد عن طريق تعلم التعامل معه بمنطقه"<sup>1</sup>، فالإنسان المعاصر شاء له القدر أن يحيى في عالم لا يتمتع بالقواعد و المبادئ الأخلاقية عالم شعاره الفوضى و اللانظام، حالة هويته نفسها حالة مجهول النسب، غير تابع لأي مرجع يحدد انتمائه، حاله حال المفقود الذي لا يملك بيت أمان، إنسان عمل واقعه على جعله منحط لا قيمة له خاضع لتعاليم صادرة من مسير أعلى.

هذا و نرجع مع مفكرنا حيث نستبدل مشاعر الارتباك و الخوف هذه بمشاعر العاطفة و الشعور بالأمن الناتج عن عدم إلغاء الحدود السياسية "تلك الحدود تثير الرعدة مثلما يثيرها رفع الستارة في المسرح، و التي لا نجتازها من دون انقباض خفيف في القلب تحت نظرة موظف الجمارك الشاردة بشكل مضلل، تلك الحدود التي عليها أن تعبر كل توق روحاني الذي لا تصح تربية عاطفية من دونه، تلك الحدود التي تتيح لنا تقديرا للذات صحيحا"<sup>2</sup>، إعادة بناء الحدود هو إعادة إحياء الأمل للهويات المفقودة، إعادة بناء التوازن للعالم، أين تمنح كل ذات مكانها المناسب فدوبريه يرى أن الانسان لمجرد معرفة أنه داخل حدود معينة ينتابه شعور بالارتياح، و بهذا تكون الهوية قد تجاوزت أزمته و مرضها، و تجاوزت توترها مما ساهم في تحقيق التفاهم و التواصل بين الدول لا الصراع و التنافر.

<sup>1</sup> - ألان تورين: نقد الحداثة، ترجمة أنور المغيث، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1997، ص 452.

<sup>2</sup> - ريجيس دوبريه: في مديح الحدود، ص 75.

نقد وتقييم:

لقد ولدت الفترة ما بعد الحديثة ازدهار النقاش الهويي بشكل مثير فالوضع ارتقى الى المريب ففي كل جزء من ذواتنا الآنية تبرز الهوية كموضوع لصيق بوجودنا أين تحول السؤال من أنا؟ إلى هاجس لم تخمد نيرانه في فلسفة ريجيس دوبريه الثورية و السؤال المطروح في هذا المقام هو إلى أي مدى يمكن التعليق عن نظرة دوبريه حول مسألة الهوية و التي شغلت حيزا كبيرا في مجال اهتماماته و فكره؟

إن المبادئ التي يؤمن بها ريجيس دوبريه الناتجة عن مواكبته لظروف و مستجدات العصر صنعت منه فيلسوف يتخذ الحيطة و الحذر موقفا له اتجاه المفاهيم السائدة في مجال التداوليات الإنسانية بشكل مستمر، و من خلال تعريفه لمفهوم الهوية يتضح لنا استيائه من وقوع الإنسانية الجديدة في الفراغ، فهو يستدعي تحديد الهوية بالاعتماد على دلالات الخصوصية و الانتماء و بالرجوع إلى الأصل، في حين الهوية المعاصرة تستند على البعد الأخلاقي المتمثل في مبدأ الانفتاح و المغايرة و هذا ما نجده في كتاب الهوية و الحرية نحو أنوار جديدة لفتحي المسكيني<sup>1</sup>، "المغايرة هي فن اختراع غيرية نشطة و مؤقتة و مفتوحة، و ذلك أن المغاير هو ذات مؤقتة تعمل في حقل تعدد محض، و هو لا يملك أي برنامج هويي نهائي لنفسه"<sup>2</sup>، فهوية الانسان المعاصر و رجوعها إلى النقاط المسطرة والمبرمجة في تحديد نفسها خطر عليها أكثر مما هو شيء إيجابي، فالشخص ما بعد الحدائي شخص ذو هوية غير معزولة عن السياق التاريخي، وعدم الانعزال يتطلب المشي في وفاق مع التطور الحضاري مع العلم ان هذا الوفاق لا يختزل ذاتية الفرد "ان المغاير طائر يحمل

1 - فتحي المسكيني: 1961م مفكر ومترجم تونسي وجد في هايدغر استجابة الى تطلعاته دخل ورشة نيتشه دون ان يدري، من اهم مؤلفاته: نقد العقل التأويلي، الهوية والزمان، هيغل ونهاية الميتافيزيقا.

2 - فتحي المسكيني: الهوية والحرية نحو أنظار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011، ص 217.

عشه معه"<sup>1</sup>، فالهوية من هذا المنظور تثبت كيانها الهوي عن طريق احترام الاخرية، وعدم التوقع على نفسها والاستفادة من الهويات المختلفة عنها، وهذا دليل على الانفتاح على الآخر و التعرف عليه و نقل ثقافتنا للتعريف بها لا لاستخدامها في مجال الاستفزاز.

هذا من ناحية و من ناحية أخرى فدوبريه من المفكرين الذين يعلنون العداء الواضح و المبين للعوامة و كل مفارقاتها التكنولوجية و الثقافية الاقتصادية السياسية الاجتماعية، في تدمير مواطنو العالم، كذوات مهجنة حيث وجهت له انتقادات مما وصفه خصومه بالانتهازي و منقلب الاهواء او الحرياء، على اعتبار أن عدائه للعوامة هو عداء للديمقراطية و تمجيد للأنظمة الدكتاتورية "...أما برنار هنري ليفي<sup>2</sup> فقد شن هجوما عنيفا على ريجيس دوبريه طالبا منه الاستقالة التامة من أي نشاط فكري او سياسي، واصفا موقفه بأنه يعكس عداء و كراهية لأوروبا و للديمقراطية"<sup>3</sup>، ومن النقاط التي أتاحت الفرصة و فتحت المجال لنقد ريجيس دوبريه فكرة الحدود السياسية، فهذه الفكرة تم تأويلها من قبل الهيرومنطقيين بالانعزال على الذات و الامتناع عن الحوار الحضاري مما أدى فهم هؤلاء القراء إلى نقطة تحسب عليه و ليس له.

لكن و على الرغم من الانتقادات الموجهة إلى دوبريه إلا أنه من الضروري الإقرار بأنه من ألمع المفكرين في العصر الراهن، و من أكثرهم إماما بما يجري في العالم على جميع الأصعدة، ففكره لا يقبل المهادنة ولطالما كان يصور للمشهد المعبر عن المواجهة التاريخية بين الشرق و

1 - فتحي المسكيني: الهوية والحرية نحو أنظار جديدة، ص 225.

2 - برنار هنري ليفي: 1948م كاتب و مفكر و فيلسوف فرنسي، يوصف أنه نجم تيار الفلاسفة الجدد الذي برز في فرنسا خلال سبعينات القرن العشرين يساري من الناحية الفكرية و الفلسفية، لكنه يميني صهيوني على صعيد المواقف و الممارسات السياسية، يرى في نفسه مناصرا لحقوق الانسان و داعية ضد الدكتاتوريات، يصفه خصومه بأنه اوليغارشي يخدم الأقوياء على غرار الشخصيات التي تحتكر كل أنواع النفوذ السياسي و الاقتصادي و الثقافي، و ممثل ليورجوازية مخملية تتبادل المصالح و الصداقات و الخدمات و تمارس الضغط، أطلق عليه فلاسفة فرنسيون كبار من أمثال جيل دولوز و أساتذة جاك دريدا، "الخدعة الثقافية"، كما اسماه الفيلسوف كورنيليوس كاستورياديس أمير الفراغ، يتخذ من ثورات الربيع العربي موضوعا لأعماله.

3 الموقع الالكتروني: www.alarab.co.uk، تاريخ الاطلاع 2017/05/28 -13:06.

الغرب، كما كان يعبر عن التمزق النفسي الذي يعاني منه الانسان المعاصر، و المتمعن و القارئ الحقيقي لدوبريه سوف يفهم ما تخفيه السطور التي كتبها، فالخوض في مسألة الهوية انطلاقا من معايير عدم الثبات و انماء مفاهيم التعدد و التغيير موقف يعتريه الغموض و عدم الاستقرار.

كما ان رفضه للعولمة كان نتاج للمعادلة المختلة التي كانت واضحة مقارنة مع الشعارات الكاذبة و بهذا فهو يفرق بين العولمة و بعدها الايديولوجي و العالمية و بعدها الإنساني، فهو ضد فكرة تصدير الثقافة و مع فكرة التثاقف في إطار ما يسمح به القانون، و هذا ما نجده في احترام مرجعية الحدود السياسية، و بهذا ففلسفته ليست فلسفة انغلاق أو انعزال بل هي فلسفة كشفت الستار عن أدب الاختلاف و جميل ورائع ولائق له ان يلقب بأرسطو فرنسا.

# الخاتمة



في الأخير نستخلص ان فلسفة ريجيس دوبريه فلسفة نقدية ايتيقية بامتياز تجعل من انسان العالم المعاصر في واقعه الراهن موضوعا لها، فهو يصف كيانه بالمأزقي، هدفها الكشف عن قوى وميكانيزمات الخلل، والقضاء عليها وملخص أزمة الهوية عنده هو ان الظرف ما بعد الحداثي وأداته المتقدمة العولمة صنع انسان مقهور، مهملة اهم قضاياها التي تمس حياته الإنسانية مثل الحرية والمساواة وحقوقه كإنسان، إنسان مغترب وتوتره في تزايد مستمر، يستورد الآلة ويشغلها بسهولة لكن من الصعب فهم المنطق المخادع الذي أوقعه في قلب الكارثة، أين يتلقى التهديدات القاتلة لخصوصيته وثقافته ولانتمائه، مما سهل في انتشار الحروب وتصدع الاختلافات العرقية والدينية، فالمجتمع العالمي الذي نحيا فيه انقلبت معادلاته العقلانية إلى معادلة لا عقلانية، معادلة تحول فيها المعنى إلى اللامعنى، مجتمع عالمي مظاهره جنونية صادرة عن انسان مركزي لا يعرف حدود شهوته و رغبته في التسلط و يلعب عن عمد بإمكانيات لا حدود لها، و هو على علم كيف يتلاعب بهوية الانسان المعاصر إلى درجة التشيؤ وفقدان الذات و المصير المجهول، الذي يدور في حلقة مفرغة من العدم و اللامرجع.

كما ان فلسفة ريجيس دوبريه فلسفة إصلاحية بكل معنى الكلمة، ترى إلى مستقبل الانسان المهودور بأعين ناقبة فهو يدعو الى حاجة البشرية الى مبادئ جديدة للنظام الشامل، و فتح المجال الواسع للتهذيب الأخلاقي الهادف إلى احترام الأنا للآخر و العكس صحيح، أين تفهم كل ذات ذاتها و تشخص ثقافتها فقد أسس و شرعن لفكر جديد بإمكانه إعادة بناء الفضاء العمومي من خلال الدور الذي تلعبه الحدود في حماية الهوية، فهو يرى في الحواجز على اعتبار أنها حدود يمكن اجتيازها للانتقال الى عالم آخر، درب للانفتاح و التواصل الشرعي و القانوني في إطار الاخذ و الرد، إلى جانب الدين الذي يسد فراغ الانسان و يكمل نقائصه، فمثلما الطبيعة تخشى الفراغ فالإنسان كذلك، و بهذا فهو يسعى الى تجاوز التحدي الهوياتي المصاحب لعمليات التهميش و الاحتقار و بعث وعي عالمي يحب التعايش عن طريق مد جسور التفاهم بين الشعوب، و جعل التسامح ضرورة حتمية كأهم قيمة دينية و أخلاقية و سياسية بدلا من الخوف و الهدم و العنف، حيث يستبدل ذلك بإيثار السلم في عالم لا أمن فيه، و على الانسان أن يسارع إلى إعادة النظر في واقعه و مراجعة حساباته لكي يحقق هويته و يجدها

بعدما أن ضيعها كفرصة أخيرة، مع ضرورة انماء مفهوم الأخوة الذي تداركه النسيان بشكل فضيع بعد هيمنة الاقتصاد والمال وبعد ما ان اختتقت البشرية فهي بحاجة الى أن تستنشق هواء نقيا وتستعيد الشعور بالنحن من خلال إرساء دعائم التضامن كصورة شاملة للأخوة، وهذا من اجل الحفاظ على الوجود والبقاء والاستمرار.

# قائمة المصادر والمراجع

- أولا المصادر:

1. ريجيس دوبريه: حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، د ط، د ت.
2. \_\_\_\_\_: في مديح الحدود، ترجمة ديمة الشكر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، د ط، د ت.
3. \_\_\_\_\_: نقد العقل السياسي، ترجمة عفيف الدمشقية، منشورات دار الأداب، بيروت، ط1، 1986.
4. \_\_\_\_\_: مذكرات بوجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران، ترجمة سهيل ادريس، دار الآداب بيروت، ط1، 1977.

- ثانيا المراجع:

1. ابراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، منشورات الاختلاف، ط1، 2006.
2. ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1984.
3. إدريس هاني: المفارقة والمعانقة (رؤية نقدية في مسار العولمة وحوار الحضارات)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.
4. آلان تورين: براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
5. آلان تورين: نقد الحداثة، ترجمة أنور المغيث، المجلس الأعلى للثقافة، دط، دت، 1997.
6. أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، ط5، 1990.
7. اولريش بك: ماهي العولمة؟، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ط1، دت.
8. اوليفيه روا: الجهل المقدس، (زمن دين بلا ثقافة)، ترجمة صالح الأشمر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
9. إيريك فروم: المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2009.

10. إيريك فروم: مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
11. أيمانويل كانط: مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952.
12. بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي (رؤية نقدية) د ط، د ت.
13. جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوى، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط1، 2001.
14. جون فرنسو ليوتار: في معنى ما بعد الحداثة، (نصوص في الفلسفة والفن)، مراجعة عبد العالي معزوز، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2016.
15. جيرار ليكلرك: العولمة الثقافية (الحضارات على المحك) ترجمة جورج كنوزة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2008.
16. جيوفانا يورادوري: الفلسفة في زمن الإرهاب، (حوارات مع يورغن هابرماس و جاك دريدا)، ترجمة خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013.
17. حسن حماد: الانسان المغترب عند إيريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، دط، 2005.
18. خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 2009.
19. ديريك هيتير: تاريخ موجز للمواطنة، ترجمة أصف ناصر و مكرم خليل، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
20. رشيد الحاج صالح: الانسان في عصر ما بعد الحداثة، دائرة الثقافة والإعلان، دط، دت.
21. روجيه غارودي: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط4، 1999.

22. سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الانسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، د ت.
23. السيد ياسين: العالمية والعولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002.
24. صاموئيل هنتغتون: صدام الحضارات، (إعادة صنع النظام العالمي)، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، سطور، ط2، 1999.
25. طه عبد الرحمان: روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006.
26. عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر (أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل)، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.
27. عبد الوهاب المسيري: رحلة فكرية في البذور والجزور والثمر، (سيرة غير ذاتية)، دار الشروق، ط1، 2006.
28. علي حسين الجابري: الفلسفة الغربية من التتوير إلى العدمية (دراسة لكانط و هيغل و نيتشة و كارل بوبر و رجال مدرسة فرنكفورت الغربية المعاصرة في ظل العولمة)، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
29. فتحي المسكيني: الهوية والحرية نحو أنظار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011.
30. فريال حسن خليفة، الدين و السلام عند كانط، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
31. فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف، مصر، د ط، د ت.
32. مايكل بيرري: الدين في السياسة (جوانب دستورية و اخلاقية)، ترجمة عربي ميقياري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2014.

33. مصطفى حجازي: الانسان المهذور، (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، دت.
34. هيريت ماركيز: الانسان ذو البعد الواحد: ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط3، 1988.
35. هومي بابا: موقع الثقافة، ترجمة تائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004.
36. اليكس ميكشلي: الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993.
37. يوسف سلامة: مفهوم السلب عند هيغل، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2001.

**- ثالثا المعاجم والموسوعات:**

1. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية، القاهرة، مصر، د ط، 1983.
2. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، د ط، د ت.
3. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982.
4. جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط2، 2007.
5. طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
6. عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
7. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007.

**- رابعا المجالات والمقالات:**

**- المجلات:**

1. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع8، جوان، 2012.
2. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، رئيس التحرير عبد الجبار الرفاعي، ع 41-42، 2014.

المقالات -

1. كمال بومنير: من غيورغ لوكاش إلى اكسل هونت، (نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ).

خامسا المواقع الالكترونية:

1. www.alukah.net تاريخ الاطلاع 2017/01/07، 18:55.
2. www.mominonn.com تاريخ الاطلاع 2017/02/14، 05:58.
3. www.ahewar.org، 29 تاريخ الاطلاع /2017/03، 14:00.
4. www.maaber.rog ، تاريخ الاطلاع 2017/03/29، 12:45.



# ملحق الأعلام والشخصيات

ابن خلدون .	-1	: 20.
ابن سينا	-2	: 12.
ادورنو	-3	: 60.
ارسطو	-4	: 20، 19.
اكسل هونت	-5	: 45، 2.
الان تورين	-6	: 72، 47.
اوليفيه روا	-7	: 69.
ايريك فروم	-8	: 55، 14،
برنار هنري ليفي	-9	: 75.
توماس هوبز	-10	: 21،
جاك دريدا	-11	: 62.
جاكلين روس	-12	: 38.
جميل صليبا	-13	: 9، 8.
جون جاك روسو	-14	: 53، 22.
جون فرنسوا ليوتار	-15	: 64.
جون لوك	-16	: 21.
جيرار ليكلرك	-17	: 46.
دافيد ميلر	-18	: 14، 13.
روجيه غارودي	-19	: 62، 2.
روزينو	-20	: 32.
رونالد روبرتسون	-21	: 31.
ريجيس دوبريه	-22	: 41، 40، 39، 38، 37، 27، 17، 5، 3،
		42، 43، 44، 45، 46، 47، 62، 63، 64،
		66، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75،
		76، 78.

- 23- زيجلر : 33.
- 24- تسيغمونت باومان : 33.
- 25- سارتر : 64، 53.
- 26- شلنج : 10.
- 27- صاموئيل هنتنغتون : 13، 26.
- 28- طه عبد الرحمان : 53.
- 29- عبد الله بن سبأ : 20.
- 30- عبد الله ذي الخويصرة : 20.
- 31- عبد الوهاب المسيري : 36.
- 32- على حرب : 35، 34.
- 33- غيتاري سيفاك : 2.
- 34- الفارابي : 12.
- 35- فالرستين : 32.
- 36- فتحي المسكيني : 74.
- 37- فرانسيس فوكوياما : 26.
- 38- فيورباخ : 54.
- 39- كارل ماركس : 51، 50، 25، 24.
- 40- كانط : 23، 22، 2.
- 41- مارثا ناسباوم : 52.
- 42- مالك بن نبي : 20.
- 43- مايكل بييري : 68.
- 44- مراد وهبة : 50، 7.
- 45- مولود قاسم نايت بلقاسم : 12.
- 46- ميلفن سيمان : 51.
- 47- نابليون : 21.

48-	هابرماس	: 2، 34، 61.
49-	هانس يوناس	: 41.
50-	هايدغر	: 54.
51-	هربرت ماركيوز	: 4، 53، 59.
52-	هومي بابا	: 13.
53-	هيغل	: 32، 34، 50.

# الفهرس

## الفهرس

01	.....مقدمة
06	.....فصل تمهيدي: مدخل إلى الهوية
07	..... • المبحث الأول: مفهوم الهوية
07	..... أ- لغة
09	..... ب- اصطلاحا
15	..... ج- عند ريجيس دوبريه
19	..... • المبحث الثاني: التطور التاريخي لأزمة الهوية
27	..... الفصل الأول: أثر العولمة على الهوية
29	..... • المبحث الأول: مفهوم العولمة
29	..... أ- لغة
30	..... ب- اصطلاحا
36	..... ج- عند ريجيس دوبريه
39	..... • المبحث الثاني: العولمة التكنولوجية و دورها في طمس هوية الانسان المعاصر
34	..... • المبحث الثالث: المفارقات الثقافية للعولمة و اختلاط الهويات
48	..... الفصل الثاني: الاغتراب مظهر من مظاهر أزمة الهوية
49	..... • المبحث الأول: مفهوم الاغتراب
49	..... أ- لغة
50	..... ب- اصطلاحا
56	..... ج- عند ريجيس دوبريه
58	..... • المبحث الثاني: الفجوة بين الانسان المعاصر وذاته
65	..... الفصل الثالث: دور المرجعيات في تجاوز أزمة الهوية
66	..... • المبحث الأول: المرجعية الدينية
71	..... • المبحث الثاني: مرجعية الحدود السياسية
74	..... نقد و تقييم
77	..... الخاتمة

80	.....قائمة المصادر والمراجع
86	.....ملحق الاعلام والشخصيات
90	.....الفهرس